ملكات بيت المقدس فى القرن الثاني عشر الميلادى
(القرن السادس الهجرى)

دكتور. اسامه زكى زيد
استاذ تاريخ العصور الوسطى
ووكيل كلية الآداب للدراسات العليا - جامعة طنطا

اكتسبت المرأة بصفة عامة فى الغرب الاوروبى الوسيط خلال الخمسة قرون الاخيرة للامبراطورية الرومانية حقوقا وحريات عديده لم تكن تتمتع بها من قبل. فنتج عن ذلك مساواتها تماما بالرجل فى كثير من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والدينيه . وقد زادت هذه الحقوق بشكل واضح بعد سقوط الجزء الغربى من الامبراطوريه الرومانيه عام ٤٧٦م [١] . وكانت المرأة المنتميه إلى الطبقات الاقطاعيه الشريفه فى المجتمع الغربى الوسيط تتمتع بمكانة كبيره يفتقدها غيرها من باقى الطبقات الاجتماعية الادنى منها ، فلم تقتصر سلطاتها علي نطاق اسرتها فى بيتها كزوجة وأم وانما كانت نائبه عن زوجها فى كل شيء اثناء غيابه . واخذت المرأة بمرور الزمن تكتسب حقوقا وحريات اخرى عديده زادت من مكانتها[٢].

ولم تكن المرأة التى تعيش داخل الامارات الصليبية والمدن فى مملكة بيت المقدس فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين (القرنان السادس والسابع من الهجرة) اقل شأنا مما اكتسبته مثيلاتها فى الغرب الاوروبى ، وانما تمتعت بنفس الحقوق والحريات . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى انه بعد ان نجح الفرنج فى تأسيس الامارات اللاتينية الثلاث، الرها ، وانطاكية ، وطرابلس الى جانب مملكة بيت المقدس ، عملوا على نقل النظام الغربى كاملا إلى كافة المستعمرات الصليبية فى الاراضى المقدسة ، مع ادخال بعض التعديلات فى خصائصه الغربية ليتمشى مع الوضع القائم فى الشرق ، فكان المجتمع الاقطاعى اشبه فى بنائه شكلا هرميا رأسه الملك والملكه وتحت ذلك طبقة الاشراف ويليهم صغارهم ثم يلي هؤلاء من هم اصغر منهم وهكذا [٣].

---

(١) Frances and Joseph, Women in the Middle Ages, PP.13,15.

ولمزيد من التفصيلات عن الحقوق العديده التى اكتسبتها المرأة انظر :

The Burgandian Cod, translated from the original by Catherin fisher, PP. 72-73, Laws of Canut, Cf. English Historical Documents, Dew-original by ing,V, PP.29, Procopius, History of the wars, translated from the Dewing, V, PP.15-16.

(٢) Eleen Power, Medieval Women,P.35.

(٣) كوبلاند : الاقطاع والعصور الوسطى بغرب اوروبا - ترجمة محمد مصطفي زياده ، ص ٥ ٤٨ ، ابراهيم طرخان : النظم الاقطاعية فى الشرق الاوسط فى العصور الوسطى ص ٤٧ - ٤٨ .

وجدير بالذكر ان قوانين مملكة بيت المقدس قد حافظت على مشاعر المرأة وعواطفها وعدم التعرض الى الانحراف فى طريق الفسق والفساد . ويتضح ذلك عندما أكدت تلك القوانين على ضرورة حصول الزوج علي موافقة زوجته قبل خروجه للاشتراك فى الحملات الصليبية . وكان الازواج يلتزمون بآراء زوجاتهم ويحترمون رغباتهن [١].

لقد لعبت المرأة فى مملكة بين المقدس من خلال النظام الاقطاعي المطبق بها دورا هاما فى تاريخ الامارات والمدن الصليبية . ولعل الحديث عن ملكات بين المقدس يعتبر أحسن توثيق لدور المرأة فى الشرق اللاتينى فى عصر الحروب الصليبية ، ونقطة بداية واضحة لاى دراسة تتعلق بدور المرأة المنتميه الى الطبقات الشريفه هناك .

واذا كانت المصادر والمراجع ، الغربية والشرقية ، قد تحدثت من بعيد أو قريب عن أحـوال ملكات بيت المقدس ، فان المصادر العربية سكتت تماما عن ذكـر أى شيىء عنهن . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى الصدمه الكبيره التي اصابت العالم العربي الاسلامى حينذاك نتيجة للوجود الصليبى فى المنطقة فضلا عما لمسه العرب المسلمون من الحرية الاجتماعية الكبيره التي كانت تتمتع بها المرأة الغربية ، بعكس الاوضاع التي كانت سائده في شتي ارجاء العالم الاسلامى.

مهما كان الامر ، عندما تكونت المملكة اللاتينيه فى الشرق وتولى حكمها الملك جودفري (١٠٩٩ -١١٠٠م - ٤٩٢ - ٤٩٣ هـ) ، لم تحمل المرأة لقب الملكة لقصر مدة حكم هذا الملك ، ولعدم زواجه . ولذلك لم يظهر دورها فى التاريخ الا اعتبارا من حكم اخيه بلدوين الأول (١١٠٠ - ١١١٨م - ٤٩٣ - ٥١٣ هـ) [٢] الذى كان متزوجا منذ عام ١٠٩٨م /٤٩١هـ عندما كان حاكما لامارة الرها الصليبية ، من الاميره أأردا Arda الوريثه الوحيده لعرش ابيها ثوروس حاكم ارمينيا[٣]. ويرى بعض المؤرخين الحديثين أن هذا الزواج لم يكن المقصود منه سوي خدمة اغراض بلدوين السياسيه ، حتي

---

(١) Brundage, The Crusader's wife :A Canonistic Quandary, Cf. Studia Cratiana, t.12,PP.430 - 431.

(٢) Albert d'Aix, Historia Hierosolimitana. Cf. R. H. C.-H,Occ. IV,P.358.

(٣) Dv Cange, Les Familles d'outre -mer,ed E.G., Rey,P.11, Wiliam of Tyre, A History of Deeds done beyond the Sea, I, PP.415 - 416.

يضمن الولاء التام له من جانب الارمن الذين تغلغلوا آنذاك فى امارة الرها ، وحتي ينجح فى ضم العنصرين الصليبى والارمنى معا فى وحدة واحدة يضمن بها استقرار الأمور فى امارته [١] .

وبعد أن علم بلدوين الأول بوفاة اخيه جود فرى عام ١١٠٠م/٤٩٣ هـ اسرع بمغادرة امارته متجها ناحية بيت المقدس ، تاركا زوجته اردا في انطاكية لانتظار نقلها على احدي السفن واللحاق به ، حتى تكون فى حراسة بحرية قويه تحفظها من أى اعتداء عليها من جانب السفن الاسلاميه ، خاصة وان معظم مدن الساحل الشامى كانت فى ذلك الوقت لاتزال فى قبضة المسلمين [٢] . وفى عام ١١٠١م/٤٩٤هـ وصلت أردا إلى يافا فى حراسة الاسطول الجنوى حيث كان زوجها الملك بلدوين هناك يراقب تحركات المصريين الموجودين بالقرب من مدينة الرمله بهدف استعادتها من الفرنجة ، ثم التوجه ناحية بيت المقدس . وعلى ذلك فقد عاصرت أردا ، وهي بمدينة يافا ، استعدادات الصليبيين لخوض معركة الرمله الاولى عام ١١٠١م / ٤٩٤ هـ والتى دارت رحاها فى السهل الواقع جنوب غربى مدينة الرمله [٣] . وكان لها موقف مشهود عقب انتصار الصليبيين في هذه المعركة ، فعندما بلغتها الاشاعة التى روجها المصريون بانتصارهم وتدميرهم للجيش الصليبى واغتيال بلدوين ، دعت الملكة أردا في الحال إلى عقد اجتماع يضم بارونات مدينة يافا واهلها وقرروا الكتابة إلى تنكريد صاحب انطاكية يطلبون منه امدادهم بالمساعدات اللازمة [٤] . وان دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى اخلاص الملكة التام وحبها لزوجها ولشعبها فى الأزمة العصيبة التى مرت بهم .

---

(١) Grousset, Histoire des Croisades, I,P.297, Richard, The Latin Kingdom of Jerusalem, P.4.

(٢) Wiliam of Tyre, op.cit., I,P.402,Guibert of Nogent, Geata Dei per francos, Cf.R.H.C. - H.Occ., IV,P.259.

(٣) لمزيد من المعلومات عن حملة الرمله الأولي انظر : اسامه زيد " حملات الرمله الثلاث ضد الصليبيين في عهد الوزير الفاطمى الأفضل (١١٠١ - ١١٠٥م - ٤٩٥ - ٤٩٩ هـ " ، مجلة كلية الاداب - جامعة الاسكندرية ، العدد ٢٩ لسنة ١٩٨١ ، ص ٣٨ وما بعدها .

(٤) Flucher of Chartre, A History of the Expedition to Jerusalem, PP.162-63.

وقد استمر زواج الملكة أردا من بلدوين مايقرب من سبع سنوات فكر الملك بعدها في الانفصال عنها فأجبرها على الانخراط فس سلك الرهبنه فى دير القديسه آن Saint Anne الكائن فى الجزء الجنوبى الشرقى لبيت المقدس . وعاشت به رغم أنفها لعدة سنوات . ونظرا لعدم قدرتها على تحمل هذه الحياة ، فقد انتهزت فرصة التقرب إلى الملك بلدوين وطلبت منه السماح لها بالسفر إلى القسطنطينيه لزيارة بعض أقاربها الموجودين هناك . وعندما وافق الملك على طلبا سافرت ولم تعد ، وهجرت بعد ذلك حياة الرهبنه واتخذت من القسطنطينية ملجأ وملاذا لها [١] . وطبقا لما رواه المؤرخ اللاتينى وليم الصورى فانها عاشت بالقسطنطينيه حياتها الخاصه دون النظر إلى سمعتها أو كرامتها الملكيه التي كانت تتمتع بها من قبل [٢]. وهذا القول مشكوك فيه، خاصة أن الملك بلدوين قد أنبه ضميره فيما بعد وعزم على أن يعيدها اليه وفق ماسيتضح فيما بعد .

والواقع هناك العديد من الاسباب التى قيلت فى شأن انفصال الملك بلدوين عن زوجته أردا . فقد ارجع البعض سبب هذا الى رغبة الملك فى الزواج من امرأة اخرى أكثر ثراءً لمواجهة العجز المالى الذى تعانى منه المملكة اللاتينيه فى ذلك الوقت [٣] . بينما ذكر المؤرخ اللاتينى جيبرت أوف نوجنت Guibert of Nogent المعاصر لاحداث هذه الفتره من الزمن أن انفصالهما قد تم نتيجة لحادثة الاغتصاب التى تعرضت لها الملكه آردا من جانب بعض البحاره أثناء رحلتها من انطاكيه الى يافا عام ١١٠١م / ٤٩٤ هـ للحاق بزوجها الملك بلدوين [٤] . ولكن المؤرخ وليم الصورى كان أكثر حرصا فى اتهامه للملكه ، عندما اكتفي بنقل آراء الناس فى سبب الانفصال دون ابداء رأيه ، فذكر ان بعضهم ارجع هذا الي الشك فى اخلاص الملكه لزوجها ، بينما رأى البعض الآخر ان السبب يرجع إلى رغبة الملك فى الاستفاده من زواج آخر [٥] . أما المؤرخ فوشيه اوف

---

(١) dv Cange,op.cit., Loc.cit, Cf also : Grousset, op. cit, Loc. cit, Runciman, History of the Crusades, II,P.102.

(٢) Wiliam of Tyre, op.cit., I, P. 461.

(٣) Grousset,op.cit., Loc. cit., Richard, op. cit., Loc. cit.

(٤) Guibert of Nogent, op. cit ., Loc. cit.

(٥) Wiliam of Tyre, op. cit., I, P. 462.

شارتر فقد سكت تماما عن ذكر أى رأى فى هذا الموضوع ، رغم انه المؤرخ الوحيد الذى يمكن أن يكون لديه المعلومات الكامله عنه بصفته القس الخاص للملك بلدوين .

ومهما كانت الآراء ، وطالما انه لاتوجد ادلة قاطعة على عدم اخلاص الملكة ، فاننا نستبعد عامل الخيانة كسبب للانفصال ، خاصة وان الملك بلدوين قد فكر فى أواخر ايامه ان يعيد زوجته اليه مرة أخرى [١] . وفى رأينا ان الدوافع التى دفعت بلدوين علي الانفصال كانت سياسية أكثر منها اخلاقية . فاذا كان زواجه من أردا قد حقق له مزايا ومكاسب ماديه وسياسيه عندما كان حاكما على امارة الرها ، فأصبح هذا الزواج غير ذى نفع بعد ان اصبح ملكا على بيت المقدس . ولم يعد العنصر الأرمنى يشكل له أى قلق أو خطوره على امتداد مملكة بيت المقدس . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لانه لم يتسلم من ثوروس ، والد زوجته باقى المبلغ الذى وعد بدفعه له عند بداية زواجه ويقدر بثلاث وخمسين الف بيزنط [٢]. فربما يكون هذا باعثا لكى يفكر الملك فى الاقتران بزوجة اخرى اكثر ثراءا ليضمن له ميراثا كبيرا يساعده فى الانفاق على مملكته ورفع الاعباء الماليه الملقاه علي عاتقها فى ذلك الوقت . وربما يكون عدم انجاب الملك ابنا من أردا قد ادى إلى انفصالهما والتفكير فى زواج آخر يأتى معه وريث للمملكة اللاتينيه .

وظلت مملكـــة بيت المقدس بدون ملكة لبضع سنوات . فلم تظهر تلك الزوجة الغنية التى كان يتطلع اليها بلدوين الا فى اواخر عام ١١١٢م/٥٠٦هـ عندما اغـــراه أرنولف Arnulf بطريرك بيت المقدس للـزواج من أدليد Adelaid كونتيسة صقلية ، وأرملة حاكـمها روجـر الأول [٣]. ولما كان الملك ملما بتطورات الأزمة الماليه التى تمر بها

---

(١) Ibid,P.513

(٢) Albert d' Aix, op. cit., P.361, Mattew d"Edesse, Extraits de la Chronique de Mattew d'Edesse. Cf. R.H.C.-Doc. Arm, I,P.25.

(٣) Wiliam of Tyre,op.cit., I,P.489.

تزوجت ادليد من روجر الأول حاكم صقلية عام ١٠٨٩ م واستمرت معه حتي وفاته عام ١١٠١م ، وانجبت منه ولدين ، سيمون عام ١٠٩٣م ، وروجر عام ١٠٩٥م ولما مات الابن الاكبر فى الثانية عشر من عمره انفردت الام الارملـة بحكم صقليه كوصيه على ابنها روجر الثانى حتى يبلغ السن القانونى لتولى اعباء الحكم بالجزيرة . انظر :

Nor wich, The Normans in the South,PP.281 - 282, Haskins, The Normans in European History, P.210, Ourtis, Roger of sicily, P. 100

المملكه ، وعلى علم بكثرة الديون المتراكمة عليها رغم كثرة الصفقات التجاريه التى عقدتها المملكة فى ذلك الوقت مع تجار الجمهوريات الايطاليه ، هذا فى الوقت الذى كانت تتمتع فيه أدليد بثروات طائلة ، وكانت مملكتها تمثل أحد المراكز التجارية الرئيسية بين اوروبا والشرق الادنى فقد وافق على اقتراح البطريرك بدون تردد خاصة بعد أن ادرك مايمكن أن تقدمه له البحرية الصقلية ، والتى كانت تمثل قوة كبيره فى حوض البحر المتوسط ،من مساعدات فى تثبيت وتقوية مركز مملكة بيت المقدس بين الدول الاسلامية والمسيحية المجاورة لها [١].

فأرسل بلدوين سفارة خاصة إلى صقلية لطلب الزواج من أدليد ، وكان أعضاء السفارة يحملون معهم تفويضا من الملك بالموافقة علي كل الشروط التي يضعها البلاط الصقلى فى سبيل اتمام الزواج [٢] . وقد ادركت أدليد بثاقب نظرها انه كما ان الملك يريد الاستفادة من وراء زواجه منها فعليها ايضا ان تبحث بدورها عما يفيدها وينفع ابنها من بعدها . ولذا فقد اشترطت على الملك بلدوين ان يؤول عرش المملكة اللاتينيه بعد وفاته الي ابنها روجر الثانى حاكم صقلية اذا لم يثمر زواجها منه بانجاب وريث للمملكة [٣]. ولعل أدليد عندما وضعت هذا الشرط كانت تعلم ان ليس هناك امل في الانجاب لتقدمها فى السن [٤] وبعد ان وافق الملك على هذا الشرط استعدت ادليد للسفر اليه لاتمام الزواج . وفى اغسطس عام ١١١٣م ربيع اول ٥٠٧ هـ وصلت العروس الى عكا . وقد زودنا المؤرخون المعاصرون لهذه الفترة الزمنية بصورة واضحة تدل على مدى الثراء الفاحش الذى كانت تتمتع به صقلية بصفه عامه وأدليد بصفة خاصة في ذلك الوقت ، ويتضح ذلك في وصف رحلة خروج أدليد من صقلية الى عكا حيث كانت السفينة التى تنقلها مفروشه ببساط منسوج من خيوط الذهب ، بينما كان سارية السفينة مغطاه برقائق من الذهب والفضه . وكانت تتبعها سفينتان كبيرتان مزينتان من

---

(١) Norwich, op. cit.,I,P.496, Cf also : Norwich,op. cit., P. 287.

(٢) Wiliam of Tyre, op. cit., I,P.496, Cf also : Norwich , op. cit.,P.287.300

(٣) Ibid, Richard, op. cit., P.4, Grousset, op. cit., I, P. 300, Curtis, op.cit, P.111.

(٤) Runciman, op. cit., II,P.102.

بالذهب والفضة وتحمل كل منهما خمسمائة من صفوة المحاربين لحماية سفينة الكونتيسه من قراصنة البحار ، وكان كل مقاتل يحمل درعا من الذهب اللامع . هذا ، فضلا تعن وجود سبع سفن صغيرة اخرى محملة بكميات هائلة من الكنوز والاموال بجانب المؤن من حبوب ونبيذ وزيت ولحوم [١] فكان هذا الموكب على حد قول الكاتب الانجليزى رانسيمان مهيب جدا بدرجة لم يشهده البحر المتوسط منذ أن ابحرت كليوباترا الى نهر البردان لمقابلة مارك انطونيو [٢] .وعندما وصل الموكب الي عكا كان الملك بلدوين قد أعد الترتيبات اللازمه لاستقبال عروسه ، فكان موجودا على رأس كل امراء المملكة وأعضاء البلاط الملكى ، ومحاطا بكل مظاهر الأبهة والعظمه الملكية . فكانت صفوف الخنياله تقف خلفه والفرق الموسيقية تعزف على كل انواع الالات الموسيقيه ، وكانت السجاجيد مفروشه في الشوارع والاعلام ترفرف من الشرفات ، وكانت كل القري والمدن بطول الطريق الطويل الموصل.من عكا الى بيت المقدس مبهرة بالزينات[٣] . وبعد عدة ايام تم الزواج ، وانتعشت المملكة اللاتينية كثيرا بهذا الزواج والتقارب بين بيت المقدس وصقلية . فتمكن الملك من صرف مرتبات افراد الجيش التى لم تصرف لهم منذ عدة شهور ، كما كافأ كثيرا من البارونات والفرسان على الجهود التى بذلوها من اجل تثبيت نفوذ المملكه اللاتينيه ، وعوض الكثير منهم عن أراضيهم التى استردها منهم المسلمين، كما تمكن بلدوين من سداد كثير من الديون المتراكمة علي المملكة . كذلك أقام العديد من الحصون والاستحكامات [٤] . وعلى ذلك حلت أموال الكونتيسة كثيرا من المشاكل الماليه التى كانت تعانى منها مملكة بيت المقدس . ولكن كان لعدم انجابها الوريث الشرعي المطلوب للمملكة اللاتينيه أكبر الأثر فى تهديد حياتها الزوجية . واصبح الامل كبيرا فى أن يؤول عرش المملكة الى كونت صقلية ، فأدى هذا الي غيرة وحماس بارونات المملكة للاطاحة بهذا الزواج ، فهاجموه ووجهوا الاتهام إلى البطريرك أرنولف

---

(١) Albert d'Aix, op. cit., PP.696 - 697, Wiliam of Tyre,op-cit., I,P.497.

(٢) Runciman, op. cit., Loc. cit.

(٣) Albert d'Aix,op.cit.,PP.697-698.

(٤) Norwich, op.cit., P.288,Runciman, op,II.P.103.

بالتستر على زواج الملك بلدوين من أدليد رغم علمه التام بان زوجته الأولى أردا مازالت على قيد الحياه بالقسطنطينيه .فإرسلوا العديد من الشكاوى إلى البابا بسكال الثانى (١٠٩٩ - ١١١٨م /٤٩٢ - ٥١٣ هـ) فى روما [١] . ولذلك وصل المندوب البابوى برنجار Brengar إلى بيت المقدس ، واجتمع برؤساء الاديره واعلنهم قرار البابا بعزل أرنولف من منصبه [٢] . فاضطر الاخير إلى الذهاب إلي روما واستخدم كل الطرق لاقناع البابا والكرادله ببراءته حتى تعاطفوا معه ووافق البابا فى النهاية على اعادته إلي منصبه مرة اخرى ، وصدر القرار البابوى بذلك في يوليو ١١١٦م / ربيع أول ٥١٠هـ [٣] . واشترط البابا على البطريرك ضرورة العمل من أجل انفصال الملكه أدليد عن بلدوين واعادتها إلي صقلية [٤] . وحاول البطريرك اقناع الملك لفسخ الزواج من أدليد ، ولكنه تردد كثيرا فى اتخاذ مثل هذا القرار رغم علمه التام بأنه قد انتهي من الاستفاده من كل اموالها . ولعل ذلك التردد مرجعه انه لم يرغب ان يفقد مزايا التحالف مع صقلية ، والتى عادت على المملكه بالنفع الكبير فى تثبيت نفوذها داخل الامارات الصليبية وبين جيرانها المجاورين لها . ولذلك قاوم الحاح البطريرك فى هذا الشأن ، حتى أنه اصيب بمرض خطير في مارس ١١١٧م / ذى القعدة ٥١٠هـ ، وشعر بدنو أجله وبتأنيب ضميره لما ارتكبه في حق زوجته الأولى أردا وانفصاله عنها . فانتهز البطريرك وباقى رجال الدين فى المملكة هذه الفرصه واقنعوا الملك بضرورة الانفصال عن الملكة أدليد واستدعاء زوجته الأولى أردا ليكفر بذلك عن خطيئته التى ارتكبها فى حق تعاليم الكنيسه عندما تزوج للمرة الثانيه ومازالت زوجته السابقه على قيد الحياة . فوافق الملك ، واستدعى الملكة واخبرها بقرار انفصاله عنها وطلب منها العودة إلى صقلية [٥] . وفى ابريل عام ١١١٧م/ذى الحجة ٥١٠هـ ابحرت أدليد من عكا إلى

---

(١) Noreich,op.cit., Loc.cit, Runciman, op. cit.,II,P. 104,Crousset, op.cit., Loc.cit.

(٢) Fulcher of chartre,op.cit.,P.215.

(٣) Ibid, Wiliam of Tyre,op.cit.,I,P.499.

(٤) Albert d' Aix, op. cit., p. 704, du Cange, op. cit., P..12.

(٥) Fulcher of Chartre, op. cit., PP. 217 - 218.

صقليه وهى تحمل معها كراهية شديدة ضد المملكة اللاتينيه وشعبها [١] . وللمعاملة السيئة التى لاقتها والاهانه البالغه التى لحقت بها عندما فسخ زواجها بمعرفة الكنيسة اللاتينيه فى عكا [٢] وقد وافتها المنية فى ابريل من العام التالى بعد وفاة زوجها بلدوين باسبوعين [٣] .

وجدير بالذكر ، ان روجر لم يغفر على الاطلاق الأهانة التى لاقتها أمه أو التغاضي عن حقوقه فى تولية عرش مملكة بيت المقدس طبقا لشروط اتمام الزواج السابق الافصاح عنها . وقد أوضح المؤرخ وليم الصورى أن صقلية ظلت دون باقى ملوك الغرب الاوروبى لاتقدم المساعدات الى مملكة بيت المقدس [٤].

عندما مات بلدوين الأول لم يكن هناك من يتولى أمر مملكة بيت المقدس ، خاصة وأنه لم يعجل قبل وفاته بإرجاع زوجته الأولى بعد رحيل أدليد إلى صقلية . وخلفه فى الحكم ابن عمه بلدوين الثانى (١١١٨-١١٣١م / ٥١٣-٥٢٦ هـ) حاكم امارة الرها . وكان متزوجـا منذ عام ١١٠٠م/٤٩٤ هـ من سيده أرمينية الموطن اسمها مورفيا Morphia ابنة جبريل صاحب مالاتيا ، وهى العاصمه الثانيه لارمينيا ، Gabriel of Malatia . وقد انجبا اربع بنات اكبرهن ميليسند Melisend ثم اليس Alic، تم هوديرنا Hodierna والاخيره يفيتا Yveta[٥]. وقد تم تتويج بلدوين الثانى وزوجته مورفيا ملكان على بيت المقدس في ديسمبر ١١١٩م / رمضان ٥١٣ هـ [٦] .

وجدير بالذكر ، ان الملك بلدوين لم يتح الفرصه لمورفيا فى مشاركته فى اصدار القرارات المتعلقه بالمملكة . ولكن هذا لايعنى انها غير جديرة بذلك ، لان الاحداث

---

(١) Ibid,P.218, Wiliam of Tyre, op. cit., I.P. 513, Cf also : Grousset, op.cit., I,P. 303, Curtis,op.cit.,Loc.cit.

(٢) Albert d'Aix,op. cit., P.704

(٣) Fulcher of Charte,op.cit., P.224

(٤) Albert d'Aix,op.cit,m Loc.cit., Wiliam ofTyre, op.cit.,I,p.506.

(٥) Wiliam of Tyre, op.cit., I,P., du Cange, op.cit.,13,Grousset, op.cit.,I,P.536.

(٦) Fulcher of Chartre, op.cit.,p.252.

التاريخية اثبتت قدرتها الفائقة فى تحمل مسئوليات كثير من الشئون السياسيه الخطيره المتعلقة بأمن المملكه . ولعل ذلك يتضح عندما خرج الملك على رأس قواته لتخليص جوسلين اوف كورتناي صاحب الرها من أسره لدى المسلمين . ولكن شاءت الظروف أن يقع الملك هو الآخر اسيرا في ايدى المسلمين (١) . وقد ساد الحزن أنحاء المملكة . واصبح الامر يشكل خطورة كبيرة ، ويحتاج الى عقل حكيم مدبر يعمل على استقرار الامور داخل المملكة حتى يتم تعيين نائب عن الملك اثناء غيابه فى الأسر . فكان ذلك العقل متمثلا فى الملكة مورفيا فسرعان ماعدت الترتيبات اللازمه من اجل محاولة اطلاق سراح زوجها . فاتفقت على استئجار كثير من الارمن المنتمين اليها والذين يدينون لها بالطاعة ، ودبرت لهم خطه للتنكر فى شكل الاتراك ثم التسلل الي المعسكر المسجون فيه زوجها الملك لمساعدته على الهرب (٢) . وعندما فشلت هذه الخطة اضطرت الملكه الى السفر شمال سوريا وفى صحبتها ابنتها الصغرى يفيتا وسلمتها الى المسلمين لتكون رهينة لديهم حتى تم دفع الفدية المفروضه على الملك بلدوين لفك اسره . وبالفعل تم اطلاق سراحه في عام ١١٢٤م/٥١٨هـ (٣) .

وجدير بالذكر ان المصادر الشرقيه والغربية المعاصره لهذه الفترة الزمنيه والمتأخره عنها زمنيا ، قد ضنت علينا بالمعلومات المتعلقه بالدور الذى قامت به الملكه مورفيا فى تاريخ المملكة اللاتينيه ، فلم تتعرض الا لتلك الشذرات السابق ذكرها والتى لا تشفي غليل أى باحث متشوق لمعرفة الكثير عن احداث تلك الفترة الزمنيه . ولعل ذلك يرجع إلى اهتمام المؤرخين الكبير فى تأريخ الفترة الملكية التاليه لها لما تضمنتها من احداث كثيرة ومثيره عاصرت حكم ملكة من اقوي واشهر ملكات بيت المقدس وهي ابنتها مليسند .

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن وقوع الملك بلدوين الثانى فى الاسر انظر :

Ibid,PP.252-255, Mattew d'Edess,op. cit., I, P. 133, Annonimous,Li Estoire de Jerusalem et d' Antioche, CF.R.C.-H.Occ., V,P.647.

(٢) Wiliam of Tyre, op.cit., I, PP. 538 - 539.

(٣) Fulcher of Chartre, op. cit., P. 232, Mattew d'Edesse, op.cit.,P.139.

احتلت مليسند مكانه كبيره فى مملكة بيت المقدس ، خاصة بعد أن أعلن والدها بلدوين الثاني قبل وفاته احقيتها فى وراثة عرش المملكه من بعده بصفتها كبري بناته . ولذلك كانت تشارك اباها فى كثير من شئون المملكة ، خاصة فيما يتعلق باصدار الوثائق الرسمية . وقد افادها ذلك كثيرا ، واكسبها خبرة ودراية بشئون الحكم عندما اعتلت عرش المملكة بعد وفاته . ومن بين الوثائق التي اشتركت فى اصدارها تلك الوثيقة الصادره فى مارس ١١٢٩م / ربيع أول ٥٢٣ هـ والمتعلقه ببعض الهبات التي منحها الملك لصالح القبر المقدس . فكانت مليسند شاهدة عيان ، بل جاء اسمها وتوقيعها فى مقدمة اسماء رجال الدين الذين شهدوا على الوثيقة (١) . ولم يكتف بلدوين بذكر اسم ابنته فحسب وانما اثبت بجواره لقب " وريثة ملك بيت المقدس " . فكان ذلك تأكيدا لما سبق أن اعلنه فى احقيتها فى وراثة العرش (٢) .

ولما كان بلدوين الثانى قلقا على مسألة العرش ، فقد رأى ضرورة ترتيب أمر زواج ابنته مليسند فبعد أن استشار باروناته ارسل وفدا منهم برياسة الكند سطبل وليم دي بور Wiliam de Bur إلى فرنسا يطلب من ملكها لويس السادس ان يختار من بين نبلائه رجلا يصلح للزواج من مليسند ويكون له القدره على تحمل مسئولية عرش المملكه اللاتينيه فيما بعد . فوقع الاختيار على فولك كونت انجو (٣) . ولما عرض بلدوين الثاني الامر علي باروناته لم يعترض احد على اقتران ابنته بالكونت فولك . ولذا سرعان ما اعلن موافقته عليه ، وتم الزواج فى مايو ١١٢٩م جمادى الأول ٥٢٤هـ ووهب الملك العريسين اقطاع اكبر مدينتين من المدن الساحليه هما صور وعكا ليتمتعان بهما طوال حياته (٤).

ويذكر الكاتب الأنجليزى هانز ماير ان بلدوين كان قد وعد فولك انجو بأن يخلفه

---

(١) Mayer, Studies in the History of Queen Melisend of Jerusalem. Cf. Dumbarton Oaks Papers,26,P.99.

(٢) Marsy, Fragment d'un Cartulaire de l'ordre de St. Lazare en Terre Saint, Cf.A. O.L.,2,P. 128.

(٣) Du Cange op.cit.,P.16,Cf. also : Grousset, op.cit.,Loc.cit.

(٤) Wiliam of Tyre, op.cit., II.P.50,Cf. also, Grousset,op.cit., Loc.cit.

فى الحكم بعد اقام زواجه من ابنته بشرط أن تكون مليسند هي الزوجه والملكه الوحيدة لمملكة بيت المقدس ولكن عندما سقط الملك صريع مرض خطير فى أغسطس ١١٣١م / شعبان ٥٢٥ هـ دعا اليه ابنته مليسند وزوجها وبطريرك بيت المقدس وعددا من رجال الدين والنبلاء واعلن صراحة امامهم بأنه عدل عن رأيه وعن الاتفاقيه التى كان قد عقدها مع فولك انجو ليخلفه وحده فى الحكم ، وضم مليسند وطفلها الرضيع بلدوين الثالث اليه ليكون ثلاثتهم وزثه متحدين في مباشرة أمور الحكم فى المملكه وقد علل الكاتب ذلك بخوف بلدوين الثانى من ان يتنكر فولك بعد وفاته لزوجته ويعمل على نقل وراثة العرش لاحد اولاده من زوجته الأولى [١] .

واننا نشك فى صحة هذه الرواية لمخالفتها ما اعتاد عليه الملك بلدوين في مشاركة مليسند له فى ادارة كثير من شئون المملكه [٢] فلم يكن في نية الملك علي الاطلاق ابعاد مليسند عن الحكم بل ان تصميمه على اشراكها مع زوجها فى اجراءات تقديم الهبه الجديده التي وهبها الى كنيسة القبر المقدس عام ١١٣٠ - ١١٣١م / ٥٢٥ - ٥٢٦ هـ لدليل يثبت ان بلدوين قد عامل مليسند وفولك منذ زواجهما على انهما مشتركان معا في وراثة عرش مملكة بيت المقدس . وعلى ذلك يمكن القول بان وراثة الحكم قد تأكدت لها ولابنها بلدوين الثالث قبل وفاة ابيها فى اغسطس ١١٣١م/شعبان ٥٢٥هـ .

وفى سبتمبر من نفس العام (رمضان ٥٢٥ هـ) تم الاحتفال بتتويج مليسند وفولك ملكين على عرش المملكة [٣].

وظلت الملكة مليسند خلال الخمس سنوات الأولى من حكمها لاتشارك زوجها الملك فولك فى تدبير امور المملكه ، ولا تملك النفوذ الذى كانت تتمتع به من قبل فى حياة ابيها . واذا كان السبب الذى ادى الى ذلك الوضع غير معروف ، فاننا نرى ان سلوك الملكة خلال هذه الفترة وفقا لرواية الكاتب الانجليزى ماير كانت عاملا هاما فى تقلص سلطاتها امام زوجها الملك . فلم تكن الملكة تهتم بزوجها رغم الحب الذي كان

(١) Mayer,op.cit., PP.99-100.101.

(٢) انظر ماسبق ص ٩ .

(٣) Wiliam of Tyre, II,P.50cf also : Crousset , op. cit,II,P.5

يكنه لها . هذا ، فى الوقت الذى اظهرت فيه عطفا وصداقتها تجاه ابن عم والدها الكونت هيو Hugh سيد يافا الذى كان يتصف بالاناقة والرشاقة . فاشعل ذلك الوضع نار الغيره فى قلب فولك ، خاصة عندما استغل أعداء هيو هذه الفرصه وزادوا من اشعال نيران الفتنة والشك بينه وبين الملك ، حتى انتهى الامر بعصيان هيو وتمرده على الملك فنتج عن هذا انقسام المملكة الى حزبين متنافسين: أحدهما يؤيد الملك فولك ، والآخر تحالف مع الكونت هيو . وقد ازداد الامر سوءا فى صيف ١١٣٢م/٥٢٦ هـ عندما وجهت الي هيو تهمة التآمر على حياة الملك [١] . ولكن العداء بين الطرفين لم يدم طويلا . اذ تدخل وليم بطريرك بيت المقدس للصلح بينهما ، ونجح في ذلك بعد ان حصل من الملك علي شروط ميسره للصلح انتهت بنفى المتمردين وعلى رأسهم هيو لمدة ثلاث سنوات يمكنهم بعدها استرداد اقطاعاتهم واموالهم . ولم يكن العقاب صارما بل متضمنا مجاملة كبيره للملكه بصفتها صديقة للكونت هيو . وقد حرص الملك على تهدئة المور خشية ما ينجم عن الحرب الأهلية من اخطار تطيح بالمملكة اللاتينية ، خاصة وان المسلمين كانوا يتربصون لمثل هذه الفتن الداخليه لينقضوا على المملكه ويستعيدوا مافقدوه من قبل فى فترة ضعفهم وتمزقهم [٢].

وكانت الملكه مليسند مستاءة للمعامله القاسيه التى لاقاها الكونت هيو فى منفاه ، ومن تشكك زوجها فى شرفها وكرامها . ولذلك لم تكن العلاقات طيبة بين الطرفين . واستمرت هذه الحالة مدة طويلة حتى تم الصلح بينهما عام ١١٣٦م/٥٣١هـ . وعادت مليسند من جديد تمارس سلطاتها كملكة تشارك فولك في ادارة شئون المملكة ، واصدار الوثائق الرسمية المتعلقه بالمملكه . ووصل نفوذها إلى درجة جعلت الملك فولك يخضع لها ولايبت فى أى أمر مهما صغر شأنه دون مشورتها [٣] . حتى اصبحت

---

(١) Mayer, op. cit., P. 102.

(٢) Wiliam of Tyre, II,PP.70 - 76 ,Cf also Mayer, op. cit., Loc. cit.

(٣) Wiliam of Tyre, Op. Cit., Loc. Cit. Cf also : Mayer, op.cit, P.104.

وتعتبر أول وثيقة شاركت فيها هى المتعلقة بالهبة التى منحها بيت جبلين Bethgibelin إلى الاسبتاريه عام ١١٣٦م انظر :

Delaville le Roulx, Cartulaire General de l'ordre des Hospitaliers de St. Jean de Jerusalem, I,P.116.

مليسند فى السنوات الأخيره من حياة الملك فولك هى الحاكمة والمسيطرة على كل أمور المملكة [١] ، وذلك بعد أن فشل زوجها في اجتذاب الجانب الاكبر من نبلاء المملكة الى جانبه.

وكانت مليسند تتصف بالورع والتقوى ، كما اهتمت بالشئون الدينيه وخاصة الهبات الكثيره التى كانت تمنحها للمؤسسات الدينية [٢] فتبنت فكرة بناء أحد الاديره ليكون مقرا لعبادة المرأه داخل المملكة اللاتينيه ، وقد رغبت بهذا العمل التكفير عن خطاياها وخطايا والديها وزوجها [٣] . هذا ، وان كان المؤرخ وليم الصورى يرجع الدافع للتفكير فى بناء هذا الدير إلى انخراط ايفيتا الأخت الصغري لها فى سلك الرهبنه فى دير القديسة آن . اذ وجدت الملكه انه من المناسب لأختها ان تخضع لاوامر وتعليمات رئيسة الدير ، شأنها فى ذلك شأن الاشخاص العاديين من أهل المملكه . ولهذا قامت بنفسا بمسح كل اراضى المملكه ، واخذت تبحث عن المكان المناسب لبناء الدير حتي انتهى بها المطاف إلى بنائه فى بيسان على بعد ثلاثة اميال من بيت المقدس . كما قامت بانشاء التحصينات العاليه والابراج القوية حول الدير للدفاع عنه ضد أى محاولة للاعتداء عليه ، خاصة وان موقعه على حافة الصحراء يجعله أكثر تعرضا لهجمات الاعداء [٤] . وبعد أن تم البناء ، واصبح الدير مهيئا للعباده ، حرصت الملكه الا يكون الباعث لها في بناء الدير مكشوفا للجميع ، فلم تعين اختها رئيسة للدير ، وانما عينت راهبة أخرى شديدة الصلاح والتقوى من كبار السن مما يجعل وفاتها وشيكه الوقوع . ولم تلبث وان ماتت بعد بضعة شهور، وعندئذ قامت مليسند بتعيين اختها رئيسة للدير ، وذلك بعد موافقة بطريرك بيت المقدس [٥] .

ومن الأعمال الخيرية الاخري التى تنسب إلى مليسند تلك الهبات العديده التى منحتها لجماعتى الفرسان الداويه والاسبتارية ومستشفى القديس لعازر لمرضى الجذام .

---

(١) A.O.L., II. P.124.

(٢) Mayer, op.cit., P.131.

(٣) Wiliam of Tyre,op. cit., II.P.132.

(٤) Ibid, PP.132 - 133.

(٥) Ibid.

كما انها حثت زوجها الملك فولك على تقديم هبات كثيره من الاراضى الى كنيسة القيامه [١] . كما يرجع اليها الفضل فى تحسين العلاقات مع الكنيستين اليعقوبية والارمينيه . ذلك ان اليعاقبه قد هربوا إلى مصر قبل استيلاء الفرنج على بيت المقدس عام ١٠٩٩م/٤٩٤ هـ . وعندما عادوا وجدوا ان املاك كنيستهم بفلسطين قد استولى عليها فارس من الفرنج اسمه جوفييه Gauffier . ولما وقع هذا الفارس اسيرا فى ايدى المصريين عام ١١٠٣م / ٤٩٨ هـ ساعد هذا اليعاقبه فى استرداد اراضيهم ، واستمروا يتمتعون بها حتى عام ١١٣٧م / ٥٣٢ هـ ، اذ عاد جوفييه من اسره بعد ان ظن كل الناس انه مات فى الاسر . فطالب باملاكه ، ولكن الملكه تدخلت تفاديا لما قد ينجم من صراعات داميه بين الطرفين ، لاصرار كلاهما على احقيته فى هذه الاراضى . فسمحت لليعاقبه بالاستقرار في املاكهم والاحتفاظ بها بعد ان يدفعوا لجوفييه تعويضا ماليا قدره ثلاثمائة دينار [٢].

وفى عام ١١٤٣م / ٥٣٨ هـ توفى الملك فولك متأثرا بجراحه نتيجه لوقوعه من فوق جواده اثناء خروجه لرحلة صيد [٣] . وكان ملكا صالحا لمملكة بيت المقدس ، ولكنه لم يكن قائدا كفئا للفرنج فى الشرق . وقد حزنت عليه مليسند ، ومع ذلك لم يصرفها حزنها عن المبادرة بتولي مقاليد الامور في المملكة . فمن المعروف انه لم يبقى من ذريتها من فولك الا ولدين : بلدوين الذي كان فى الثالثة عشر من عمره ، وعمورى الذى لم يتجاوز السابعة من غمره [٤] . ولم تلبث وان نصبت ابنها الاكبر قسيما معها فى الحكم نزولا على رغبة بارونات المملكه لانه لم يخطر ببالهم فكرة انفراد الملكه بالحكم . ونظرا لان ابنها كان اقل من السن القانونى الذى يجيز له مباشرة امور المملكه بمفرده ، فقد تولت مليسند كل مقاليد الامور . وقام بطريرك بيت المقدس بتتويجهما معا في كنيسة القيامه يوم عيد الميلاد عام ١١٤٣م/٥٣٨هـ [٥] . وكانت الملكة الأم من

---

(١) du Cange, op. cit., p.17.

(٢) Grousset, op. cit., II.P. 163, Runciman, op. cit., II,P. 232.

(٣) Stevenson, The Crusaders in the East,P,147, Grousset,op.cit, II,P.165.

(٤) Wiliam of Tyre, op. cit., II, P. 137,Cf also : Grousset, op. cit., II P.169.

(٥) Wiliam of Tyre, op.cit.,:oc. cit. du Cange, op.cit.,P.17.

القدرة والكفاية مايجعلها تصيب نجاحا كبيرا اثناء فترة حكمها . اذ أدارت دفة الحكم فى المملكة بكل شجاعة واخلاص [١] . فكانت تنظر فى الأمور الهامه فى الدولة ، وكان طموحها ان تباهى وتنافس أعظم نبلاء المملكة اللاتينيه وأمرائها حتى تظهر تفوقها عليهم فى الحكمة والرزانة [٢] . وعلى الرغم من تجمع كل السلطات فى قبضتها ، الا أن انوثتها كانت تمنعها من تولى امر الجيش بنفسها ، ولخطورة هذا المنصب واهميته ، كان عليها ان تتريث فى اختيار من هو أهل بهذا المنصب من أهل الثقة والمقربين اليها . وقد وقع اختيارها على ابن عمها منسيس هيبرج وعينته كندسطبل للمملكة [٣] . وبهذا تكون الملكة قد تجنبت اعطاء هذا المنصب الخطير إلى أحد اتباعها أو رعاياها الغير موثوق فهم حتي لا يؤدى هذا الى ضعف السلطة الملكية فيما بعد . ولكن يبدوا ان منسيس قد تعالى علي كبار البارونات فى المملكة ، ولم يظهر لهم الاحترام اللائق بهم . فأدى هذا إلى نفور البارونات منه . ولولا مهابة الملكه وسلطاتها الواسعه عليهم فى ذلك الوقت لتحركت الكراهية والبغض الموجهين ضده ولتعرضت المملكه لخطر حرب اهلية [٤] .

وقد لعبت مليسند دورا هاما من خلال تطور العلاقات الصليبية الاسلاميه . من ذلك تلك المحاوله الجادة التي قامت بها من اجل اعادة امارة الرها مرة اخرى الي حظيرة المملكة الصليبية بعد أن استردها عماد الدين زنكى فى نوفمبر ١١٤٤م / جمادى الأولى ٥٣٩ هـ . فبعد أن شدد المسلمون الحصار على الرها ومنعوا دخول الميره

---

(١) Stevenson, op.cit., Loc. cit., Setton, A History of the Crusades, I,,P.444.

(٢) Wiliam of Tyre, op. cit.,P.139, 204.

(٣) Ibid, P. 204.

وتعتبر هذه الوظيفه أعلي المراتب العسكريه فى المملكه . فصاحبها هو القائد الاعلي للجيش ويتمتع بسلطات كبيره خاصة اذا كان الملك دون السن القانوني لتولية امور المملكه وتكون الوصيه ، امرأه . ومن اهم وظائفه تعيين قادة الجيش الملكى ، ويعتبر ممثلا لسلطة العداله العسكريه فى الجيش . وله المكانه العسكرية الثانيه بعد املك . وله حق الاشراف على البلاط الملكى اثناء غياب الملك . ومكانه فى مقدمة الجيش فى الحروب انظر :

Liver au roi, Cf. Assises de Jerusalem, I,P. 615.

(٤) Ibid, Cf also : Setton, op.cit., II,P.142.

والمساعدات اليها ، لم يتمكن حاكمها جوسلين الثانى من الوقوف امامهم لان جيشه لم يكن من القوة بحيث يمكنه الدخول فى معركة متكافئة مع قوات زنكى . ولذا اسرع فى طلب النجدة من امارة انطاكيه وبيت المقدس . وسرعان مادعت مليسند المجلس الملكي للانعقاد ومناقشة موضوع انقاذ الرها ، ففوض المجلس الملكه لحشد جيش كبير لهذا الغرض . ولكن الامر اختلف فى انطاكيه ، اذ لم يعر صاحبها ريموند بواتيه أى اهتمام للازمه التي تمر بها الرها . وانتظر جوسلين بقلق شديد وصول النجدات من بيت المقدس . لكنها وصلت متأخره بعد سقوط المدينه في يد عماد الدين زنكى [١] .

وجدير بالذكر ، ان الملكه رفضت أن تشرك ابنها بلدوين فى هذه الحمله وفى باقى الحملات العسكرية . وعلل ماير سبب هذا ان الملكة كانت تكره من ينافسها فى التفوق والسلطان . فخشيت أن يكتسب ابنها سمعه طيبه فى المجال العسكري ترفعه الى مراتب القادة العظام ، فيزيد تأييد البارونات له مما يؤدى إلى شعوره بأنه قائد سياسى ايضا [٢] .

كما كان للملكه ايضا دور كبير فى دعوة جميع القاده الصليبيين فى الغرب الاوروبى للحضور الى بيت المقدس على رأس جيوشهم في الحملة الصليبية الثانيه لمحاولة استعادة الرها من المسلمين . وعندما وصلوا وجهت اليهم الدعوة لحضور مجلس كبير ينعقد فى عكا فى يونيو ١١٤٨م / محرم ٥٤٣ هـ لمناقشة خط سير الحملة [٣].

على اية حال ، بالرغم من أن بلدوين الثالث قد أتم فى عام ١١٤٥م / ٥٤٠ هـ الخامسة عشر من عمره وهو السن القانونى الذي يسمح له بالانفراد فى تولى شئون المملكه ، لم تعلن الملكة الأم عن نيتها فى التخلى عن الحكم لابنها [٤] . وربما يرجع ذلك إلي رغبتها فى السيطرة أطول فترة ممكنه ، خاصة وانه لم تكن تشعر بالهيبه التي يجب ان يتحلى بها ابنها بين كافة رعاياه وكبار رجال الدولة . فخافت ماقد يترتب على

---

(١) Wiliam of Tyre,op.cit., P.142,Cf also : Crousset, op.cit., II,p.182, Stevenson, op. cit., P. 149,Brundage, The Crusades,P.81.

(٢) Mayer, op.cit., P.118.

(٣) Runciman,op. cit., II, P.280.

(٤) Mayer, op.cit., P.114.

هذا من ضعف الملكية وسيطرة كبار البارونات . ومع ذلك ، فان العناصر المستهتره فى المملكة التى ظلت تنتظر طويلا حلول هذا اليوم ، لم تترك الامور تسير وفق أهواء الملكه الأم ، لانهم شعروا ان تأثير الملكه على ابنها قد اعاق محاولاتهم فى السيطره على الملك . ولذا اشعلوا نيران الفتنة بين بلدوين الثالث وامه ، فأخذوا يحرضونه على ضرورة التخلص من وصاية أمه عليه وأن ينفرد بالحكم . وكانوا يوسوسون فى اذنه بكلمات الحقد والكراهيه ضدها . فكانوا دائما يذكرونه " انه من غير المناسب ان يخضع الملك دائما لرغبات اية امرأة حتى ولو كانت أمه " [١] . وتأثر الملك بتحريض هذه العناصرالفاسده له ، وأخذ يتحين الفرصة للتخلص من سيطرة امه عليه ، وازدادت العلاقات سوءا بينهما بشكل واضح منذ عام ١١٥٠م/٥٤٥ هـ عندما بدأت الملكه الام تصدر القرارات الملكيه باسمها فقط دون الاشاره إلى ابنها على الاطلاق . فثار الرأي العام وطالب بتتويج بلدوين الثالث ملكا رشيدا ، غير ان الملكه كانت قد اتفقت مع البطريرك فولشر على ان يتوجها من جديد إلى جانب ابنها حتى يتيح لها هذا الاجراء الاعتراف باشتراكها فى الحكم. وتم تحديد يوم عيد القيامة لعام١١٥٢م/٥٤٧ هـ موعدا للتتويج . ولكن عندما علم بلدوين بهذا الاتفاق أرجأ حضوره ، واخذ يماطل فى تحديد وقت الاحتفال بقصد عدم رغبته فى اشتراك امه معه فى التتويج . ورجاه البطريرك والرجال الحكماء المحبين للسلام على عدم اثارة المشاكل والفتن والسماح لامه فى أن تشاركه فى التتويج . ولكنه أصر على رأيه واستمر فى المماطله [٢] . غير أنه فى يوم غير متوقع من جانب الملكه اقتحم بلدوين كنيسة القيامه مع نفر من فرسانه وطلب من البطريرك ان يتوجه بدون حضور امه . ولما رفض اجبره الملك على هذا خاصة وانه قد اقام احتفالا كبيرا في بيت المقدس وارتدى اكليلا من الزهور رمزا للسلطة الملكيه بدلا من التاج الملكى المرصع بالمجوهرات الذى رفض البطريرك تسليمه اياه [٣] . وكان ذلك ايذانا بقطع حبل المودة بين مليسند وبلدوين الثالث .

---

(١) Wiliam of Tyre, op.cit., II, P. 140, 205. Cf also : Grousset,op.cit.,II, pp.171-172.

(٢) Wiliam of Tyre, op.cit., Loc. cit., Cf also : Crousset, op. cit., II, P.315.

(٣) Wiliam of Tyre, op. cit., II, P.205, Cf also : Setton, op.cit., Loc. Cit.

وعندما انتهت اجراءات التتويج دعا الملك الى عقد مجلس المملكه للبت في ايجاد حل وسط لانهاء ازمة العلاقات السيئة بينه وبين امه . وتم الاتفاق علي أن يذهب الملك الى امه ويطالبها بالموافقة على تقسيم المملكة بينهما . وبعد مفاوضات مكثفة بين الجانبين تركت مليسند للملك حرية اختيار المدن التى يريد ضمها اليه . فوافق على أن تتألف مملكته من الجليل والشطر الشمالى من مملكة بيت المقدس . أما مليسند فقد احتفظت لنفسها ببيت المقدس ونابلس بملحقاتها يهوذا وسامرا [1] .

ولاشك ان ماحدث من جانب الملك بلدوين يعتبر عملا عنيفا فى حق امه اولا ، ثم فى حق مملكة بيت المقدس بأسرها ثانيا . لان الملكة الأم كانت تحكم طوال فترة وصايتها على ابنها بمهارة فائقة لما اكتسبته من خبرة كبيرة ومقدرة لادارة شئون الحكم داخل المملكة . فنجحت بذلك فى أن تجعل من المملكة اللاتينية وحدة واحدة تحت قيادة موحدة . أما الان وبعد أن انقسمت المملكة إلى قسمين فلن يتسنى للملكة ان تحتفظ بقوتها الدفاعية وسلطانها تحت قيادتين منفصلتين خاصة وان بلدوين لم يكن لديه من الخبره أو المقدرة مايسمح بتسيير دفة الحكم . وإذا كانت مليسند قد وافقت على هذا التقسيم رغم انها كانت مؤيده من جانب الكنيسه ومعظم لوردات وبارونات جنوب المملكه ، فان ذلك ليعد اضافة جديده فى سجل اعمالها المجيده فى خدمة مملكة بيت المقدس ، لانها وجدت في موافقتها على التقسيم خير وسيله لتجنب صراعات وحروب اهليه يمكن ان تنشب بينها وبين حزب النبلاء المؤيد لابنها .

لقد ساد الهدوء انحاء المملكة بعد التقسيم لبضعة اسابيع فقط ، اذ اراد بلدوين ابعاد امه كلية عن الحكم . فأعد جيشه وغزا الاراضى الخاضعة لسلطانها . ولما علمت الام بما حدث ، خرجت من نابلس واتجهت إلى بيت المقدس تاركة المدينه في حماية رعاياها من النبلاء المنحازين الى صفها ولكن بعد أن نجح بلدوين الثالث فى الاستيلاء على نابلس ، واصل طريقه ناحية بيت المقدس لمطاردة الملكه هناك . ويبدوا ان الانتصارات التى احرزها على جيش الملكه قد رفعت من شأنه بين مؤيديه واثبت كفاءته

---

(١) Wiliam of Tyre, op. cit., Loc. cit, Cf also : Richard, op.cit., P.64.Crousset, op. cit., II, P. 317.

امام كثير من بارونات المملكه المنحازين لأمه ، فأخذ الكثيرون منهم التخلى عنها والانضمام إلى صفوف الملك . ولاشك أنهم وضعوا مصلحتهم الخاصة فوق أي اعتبار ، فخشوا أن تطول الحرب الاهليه بين الملكة وابنها فيفقدون امتيازاتهم وممتلكاتهم ومكانتهم فى المملكة بعد انتصار الملك وسيطرته على المملكه كلها . ورغم ذلك ، فقد ظل بعض اتباع مليسند خاضعين لها ومؤيدين حقوقها فى مباشرة السلطه مع الملك . وكان فى مقدمة هؤلاء ابنها عمورى [١] . وعندما علمت الملكة بأن قوات بلدوين في طريقها ناحية مدينة بيت المقدس لحصارها والاستيلاء عليها انسحبت مع اتباعها المخلصين واهل بيتها إلى قلعة المدينه متخذين من برج داود مكانا للدفاع عن انفسهم [٢] . وسرعان ماوصل الملك بقواته امام ابواب المدينة ، وتبادل الطرفان المتحاربان الضربات . وقد شعر البطريرك فولشر حينذاك ان الامور تزداد سوءا وخطورة علي سلام وأمن المملكه . فلم يتردد في الذهاب علي رأس مجموعة من رجال الدين لمقابلة الملك وتحذيره من مغبة الموقف إذا تمادى فى اصراره على السيطرة على باقى ممتلكات الملكة ، ونصحه بضرورة الالتزام ببنود الاتفاقيه القائمة بينه وبين مليسند بشأن تقسيم اراضى المملكه بينهما . ولم تأت هذه المحاوله من جانب البطريرك بفائدة ، واضطر للعودة إلي المدينه يحمل معه بغض الملك وكراهيته . وواصل الملك حصاره للمدينه ، واضطر الاهالى فى نهاية الامر الى تجنب حنق الملك عليهم ، ففتحوا ابواب المدينه ودخلها الملك مع قواته . ثم فرض الحصار حول القلعه محاولا الاستيلاء عليها . وامام هذا الموقف الخطير الذي شهدته ارجاء المملكة اللاتينيه اضطرت مليسند فى نهاية الامر بعد أن فقدت كل امل فى احراز النصر على عقد معاهدة سلام مع ابنها . ووافقت فيها على التنازل له عن كل ممتلكاتها ومناطق نفوذها بشرط ان يترك لها خراج مدينة نابلس وما يجاورها من البلاد طوال حياتها فوافق الملك على هذا واقسم ان يحافظ على بنود هذه المعاهدة والالتزام بتنفيذها [٣]. وبذلك عاد الهدوء يخيم على ارجاء مملكة بيت المقدس من جديد .

---

(١) Wiliam of Tyre, op. cit., II, P. 206

(٢) Ibid, PP.206 - 207, Cf also : Crousset, op.cit., II, P. 319.

(٣) Ibid, Stevenson , op. cit., P. 170.

وبعد هذه التطورات ، كان على الكنيسة ان تبحث عن مصالحها فى ظل حكم الملك الجديد . فطوت صفحة العلاقات التى كانت قائمة مع الملكة الام ، وفتحت صفحة جديده بيضاء مع بلدوين وبالمثل كان على الملك ان يتقرب الى الكنيسه لشدة احتياجه الى مساندتها له . ولتحقيق ذلك اسرع فى تأكيد كل الهبات والممتلكات التى تخص الكنيسه . ولم يكتف بذلك وانما اضاف اليها هبات اخرى عديده (١) .

وجدير بالذكر ، انه على الرغم من سؤ العلاقات بين مليسند والملك ، فلم يمنعها هذا من المشاركه فى حل كثير من المشاكل المتعلقة بصالح المملكه وامنها . ويتضح ذلك عندما كان بلدوين قلقا بسبب نمو قوة نور الدين فى شمال الشام (٢). وخاصة بعد ان حاول الاستيلاء على انطاكيه عام ١١٤٩م /٥٤٤ هـ . ولكنه فشل وانتهى الامر بمقتل صاحبها ريموند اوف بواتيه (٣) . وتولى الحكم فيها ارملته كونستانس ابنة اليس خالة الملك . ونظرا لأهمية هذه الامارة بالنسبه لمملكة بيت المقدس ، فلم يرض بلدوين ان يظل حكم انطاكيه فى يد امرأه . ولذا فكر فى البحث لها عن زوج جديد يفيد الاماره بجهوده وخبراته وامجاده الحربيه خاصة وان المملكه كانت تضم صفوة النبلاء المنحازين لصفوف الملك والذين يصلحون لتولى الحكم فى انطاكيه . ورغم الحاح الملك على ابنة خالته في الموافقه على الزواج فكانت تصر على الرفض في كل مره ، وفضلت ات تعيش حره مستقله بذاتها . وازاء هذا الاصرار فكر الملك فى عقد اجتماع كبير فى طرابلس فى

---

(١) Mayer, op.cit., P.170.

(٢) لمزيد من المعلومات عن توسع قوة نور الدين انظر : ابوشامه : الروضتين ، جـ١ ، ق ١ ص ٥٥ - ٨٩ ، ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدوله الاتابكيه ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ص ٩٨ - ١٣٥ .

(٣) حشد ريموند بواتيه صاحب انطاكيه قواته فى يونيو ١١٤٩م / صفر ٥٤٤هـ ، وحاول الاغارة علي بعض نواحى حلب فتصدت له قوات نور الدين ونجحت فى هزيمته . ولذلك اراد نور الدين الانتقام، فنزل بقواته الي انطاكيه وحاصرها معتمدا على خلوها من القوات الدفاعيه اللازمه فى ذلك الوقت . وتوجه الفرج من ناحية الساحل صوب انطاكية لنجدتها . وانتهى الامر بعقد هدنه بين الطرفين تقرر فيها ان تكون الجهات القريبه من الأعمال الحلبيه لنورالدين والجهات القريبه من انطاكيه للفرنج . ونتج عن الاشتبكات التى وقعت بين الطرفين مقتل ريموند بواتيه ، واصبحت كونستانس ارملته هى المسئولة عن حكم الاماره . لمزيد من المعلومات انظر ابوشامه : الروضتين في اخبار الدولتين جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٧ - ٥٨ ، ابن الاثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ص ٩٨ - ٩٩ وكذلك :

Wiliam of Tyre, II PP. 196 - 202.

صيف ١١٥٢م / ٥٤٧ هـ للبت فى هذه المشكلة . وقد دعا للاجتماع بارونات المملكه واعضاء المجلس الملكي ورجال الدين فى انطاكيه وكذلك الملكة الام لمالها من تأثير كبير على ابنة اختها [١] . وعندما بدأ الاجتماع بذل الأعضاء قصاري جهدهم لاقناع كونستانس بالزواج ، ولكنهم فشلوا جميعا فى ذلك [٢] . ومما زاد الطين بله ، انه عقب انتهاء الاجتماع لاقى ريموند الثانى صاحب طرابلس حتفه على أيدى جماعة الحشيشيه . وخسرت المملكة اللاتينيه بذلك فارسا شجاعا يعد من المع فرسان المملكة [٣] .

وبدأ بلدوين يظهر احترامه الفائق لأمه بعد اغتيال الكونت ريموند [٤] . ولعل ذلك يرجع إلى ان الملك كان يتطلع للاحتفاظ ببعض السيطره على امارتى طرابلس وانطاكيه منتهزا فرصة عدم وجود حاكم رشيد فى أى منهما . وكان يري انه اذا تحقق له ذلك فسوف يتمكن من مواجهة قوات نور الدين محمود . فكان ولابد عليه وقبل أى شيء ان يحسن معاملته لامه ولو ظاهريا ، وان يتقرب اليها بصفتها خالة كونستانس اميرة انطاكيه ، واخت هوديرنا حاكمة طرابلس والوصيه على ابنها ريموند الثالث . وكان يدرك تماما أن أيه معامله قاسيه توجه إلى أمه سينتج عنها ازدياد العداء بينه وبين أمه. وبالتالى عاد الهدوء مرة أخرى الى انحاء المملكه . وتأكيدا لهذا ، فقد منح الملك امه حق توجيه النصح والارشاد اليه ، وان تقدم له خبراتها السياسية للعمل معا لصالح مملكة بيت المقدس . وارضاء لها فقد وافق على كل الهبات التى كانت قد صدرت من امه اثناء فترة حكمها عندما كان العداء متبادل بينهما [٥] . هذا وان كان الكاتب الانجليزى ماير يرى ان بلدوين الثالث لم يشرك امه تماما فى الحكم ، وانما نجح في أن يوهمها بأنها تقاسمه اياه ، وذلك بعد أن ترك لها ممارسة الحقوق في ابدء الرأى فى بعض الامور العامة . قليلة الشأن والتى لاتؤثر اطلاقا على كيان المملكه وامنها . وكان

---

(١) Wiliam of Tyre, op. cit., P. 172.

(٢) Mayre, op. cit., P. 172.

(٣) لمزيد من التفصيلات انظر اسامه زيد : الصليبيون واسماعيلية الشام فى عصر الحروب الصليبيه ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٤) Ideinn.

(٥) Ibid, P. 173.

يهدف من وراء ذلك عدم اشعارها بأنها مبعدة عن السلطة والنفوذ [١]. وقد ضرب لنا مثلين يؤيدان وجهة نظره ، أولهما يرجع الى نوفمبر ١١٥٧م/ رمضان ٥٥٢ هـ عندما تفاوض الملك مع بعض التجار البيازنه على منحهم امتيازات فى صور بشرط عدم بيع الاسلحه والحديد والخشب والقطران الى مصر . وقد راعى بلدوين موافقة الملكه اولا على هذه المعاهده . والثانى فى العام التالى عندما فوض أمه فى رفض أو قبول القرار الذى اتخذه فى تأييد الهبات التى أوقفها الكندسطبل همفرى اوف تورون لصالح جماعة فرسان القديس حنا [٢].

ولكننا نرى عكس مارآه الكاتب الانجليزى لأن القرار الذى اصدرته الملكة الام بشأن تعيين عمورى اوف نسل Amaury of Nesle فى منصب بطريرك بيت المقدس الذى خلا بوفاة البطريرك السابق فولشر انجولم Fulcher of angoulem عام ١١٥٧م / ٥٥٢هـ [٣] لخير دليل على أن مليسند كانت تمارس سلطانا فعليا فى الامور الهامة المتعلقة بمملكة بيت المقدس . فمما لاشك فيه أن منصب البطريرك يعتبر من المناصب الهامة والخطيره فى مستقبل ومصير المملكه . وطالما أن الملك قد فوض اليها أمر شغل هذا المنصب ، فيعتبر هذا فى حد ذاته عملا هاما ومشاركه فعلية فى ادارة شئون الحكم مع الملك .

ولكن مليسند اختفت تماما من مسرح الاحداث بالمملكة اللاتينية اعتبارا من يناير ١١٦٠م / محرم ٥٥٥هـ . فلم تمكنها حالتها الصحية من ممارسة أى نوع من مظاهر الحياه ومشاكلها داخل المملكه أو خارجها . ولم تعد قادره حتى على الصياح للتعبير عن آلامها ، اذ وقعت صريعة مرض خطير قضى على حياتها فى ١١ سبتمبر ١١٦١م/ ٢٠ رمضان ٥٥٦هـ . وحزن عليها بلدوين كثيرا واستمر عدة ايام لايقبل العزاء نادما على كل مااقترفه فى حقها من قبل [٤].

لقد كانت الملكه مليسند امرأه مشهورة فى تاريخ بيت المقدس . ونجحت فى مسك

---

(١) Ibid,P,174 .

(٢) Iden.

(٣) Benjamin Kedar, Outre Mer, Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem, P. 189, Crousset, op. cit., P. 389.

(٤) Wiliam of Tyre, op. cit., II, pp. 283,291.

زمام السلطة فى يدها اكثر من ثلاثين عاما ، فى الوقت الذى لم يكن لاسلافها من النساء أى سلطان ونفوذ ، وهى، على حد قول المؤرخ اللاتينى وليم الصورى ، كانت تتمتع بالحكمه والرزانه والخبره فى معظم شئون المملكه مما ساعدها فى الانتصار على أعدائها وفى تحمل مسئولية حكم المملكه بنجاح فائق [١].

وكان مجلس البلاط الملكى قد ناقش فى عام ١١٥٧م /٥٥٢ هـ فكرة زواج الملك بلدوين ، وقرر ضرورة البحث له عن عروس لضمان وراثة العرش . وقد آثروا أن تكون العروس منتميه الى البلاط البيزنطى حتى يكسبوا رضاء الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين ، ويمدهم بمهر كبير يساعد مملكة بيت المقدس على الخروج من الضائقة الماليه التى كانت تعانى منها ، وحتى يضمنوا فى نفس الوقت تقديم المساعدات الحربية لهم فى صراعهم ضد قوة نور الدين محمود التى كانت في ازدياد مطرد ،[٢] خاصة بعد ان تورط بلدوين فى التوغل فى اراضى نور الدين معتقدا انه مازال طريح فراش المرض . وراعه ان خصمه العنيد كان في انتظاره ، فأحجم عن اللقاء . ونظرا لان نور الدين كان لايزال فى دور النقاهه ولاتمكنه قواه من الدخول فى معارك طويله ، فقد اتفق الطرفان على ان يتهادنا [٣] .

على أية حال ، ارسل بلدوين سفارته الى الإمبراطور البيزنطى فى القسطنطينية لاعداد الترتيبات اللازمه لزواجه من احدى العائلات النبيلة البيزنطية ، وانتظرت السفاره رد الامبراطور عدة شهور تلقت بعدها موافقته علي زواج الملك الصليبى من ابنة اخته ثيودورا Theodora . وقد اشترط الامبراطور مانويل منح العروس ناحية عكا بائنة لها ، علي أن تظل فى حوزتها تتمتع بها طوال حياتها حتى بعد وفاة الملك [٤] . فوافق الملك وقدم لها فضلا عن ذلك مهرا كبيرا قدره مائة الف قطعه ذهبيه ، بينما تكلف جهازها اكثر من اربعة عشر الف قطعة ذهبيه . وبعد أن اعدت لوازم السفر

---

(١) Ibid, P. 50.

(٢) Wiliam of Tyre, op. cit., II, P. 264, Gregoire le Pretre, Continuation of Mattey "Edessa, Cf. R.H.C. Doc. Arm, I,P. 186.

(٣) حسين مؤنس : نور الدين محمود ص . ٢٧ .

(٤) Wiliam of Tyre, op. cit., II, P. 274, Cf also : Setton , op. cit.,I, I, PP.502 513, Crousset, op. cit. II. PP. 397-398. -

للعـروس تحركـت رحلتهـا الي الشام تحت حراسة قويه . فوصلت بيت المقدس فى سبتمبر ١١٥٨م / ٥٥٣ هـ ، وتم تتويجـها ملكة على بيت المقدس بجانب زوجها بلدوين الثالث [١] واستقبـل الفرنجـه فى بيت المقدس نبـأ الـزواج بالبهجـة لما سيترتب عليه من قيـام التحـالف مع بيزنطه ، فضلا عن ان الامبراطور اعـتبر نفسه حامـى القـوي الصليبيه فى الشرق الادنى ضـد المسلمين ، وتعهـد بمسـاندة الفرنج ضـد قـوات نور الدين محمود [٢].

ولكن ثيودورا لم تتمتع بمباشرة السلطة فى المملكة بالقدر الذى يليق بمكانتها كملكة على مملكة بيت المقدس . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى صغر سنها ، لانها عندما تزوجت كانت تبلغ من العمر ثلاثة عشر عاما[٣]. كما كان للتجربة القاسية التى عاشها بلدوين مع امه ، حسبما اسلفنا ، اكبر الأثر على نفسه ، مما جعله لايسمح لايه امرأة بتولى أى قدر من السلطة لادارة شئون المملكه . ولذلك لم نعثر الا على ثلاث وثائق فقط ترجع إلى الفترة المعاصره لها كملكة على بيت المقدس . وقد ذيلت هذه الوثائق بتوقيعها عليها . ويتضح منها نوعية العمل الذى كانت تقوم به الملكه ثيودورا فى مشاركة زوجها فى الحكم . فبالنسبة للوثيقة الأولى تضمنت موافقتها على تحديد مساحة الارض المستخدمه فى زراعة قصب السكر فى عكا بصفتها اقطاعا ممنوحا لها . أما الوثيقة الثانيه ويرجع تاريخها إلى يوليو ١١٦١م/جمادى الآخر ٥٥٧ هـ فقد تضمنت اتفاق الملك مع فيليب اوف ميلى Philip of Milly صاحب نابلس على تبادل الاراضى المملوكه لفيليب فى نابلس مع اراضى الملك فى اقليم ماوراء نهر الاردن. وقد اشتركت الملكه فى مناقشة بنود هذه الوثيقه والتوقيع عليها مثل باقى أفراد الأسرة المالكه لكونها احد افرادها . وعلى هذا فلم تتضمن الوثيقة توقيع الملكه فحسب ، وانما تضمنت ايضا توقيع عمورى أخى الملك ، وخالته هوديرنا كونتيسة طرابلس وابنائها

---

(١) Wiliam of Tyre, op. cit., II, P. 275.

(٢) Mayer, " Latins, Muslims and Greek in the Latin Kingdom of Jerusalem" Cf.. The Journal of the Historical association. t. 63, 1978, P. 190, Grousset, op. cit., II.P. 398.

(٣) Du Cange, op. cit., P. 18.

وريموند [١] . أما الوثيقة الثالثه والاخيره ، فترجع الى نفس العام وتضمنت هبة الملكة لاحد المنازل المملوكه لها فى عكا إلى حاجبها الانجليزى [٢] .

يتضح مما سبق أن ثيودورا لم تكن تباشر سلطاتها الا فى حدود ضيقة للغاية لاتتعدى الامور الشخصيه الخاصة بها والتى لا تتعلق بأمن المملكه وسلامتها أو بمستقبلها . ولذلك كان الملك يتجاهل وجودها فى كل الشئون الاخرى للمملكه .

مات بلدوين الثالث فى فبراير ١١٦٣م/صفر ٥٥٨ هـ دون أن ينجب اولادا من ثيوداورا رغم انها كانت فى السابعة عشرة من عمرها[٣] . ولذلك فقد تركت العاصمه واتجهت الى عكا لتعيش بها وقد تولى عمورى الاول حكم مملكة بيت المقدس عام ١١٦٣م / ٥٥٨هـ خلفا لاخيه بلدوين الثالث . وكان سعيدا لمرور سنوات عديده على وفاة أخيه دون ان تفكر ثيودورا فى الزواج . فقد كان يخشى أن يؤول بزواجها حكم عكا إلى زوجها الجديد ، وتخسر بذلك المملكه اللاتينيه سيطرتها على اكبر المدن الهامه التابعة لها . اما اذا ظلت الملكه الارملة بدون زواج فسوف تسترد المملكه هذه المدينه مرة أخرى بعد وفاتها .

ولكن يبدو أن صغر سنها ، وهى تمر بمرحلة المراهقة ، لم يساعدها فى الاستمرار على المحافظة على سمعتها الملكيه . اذ اساءت التصرف عندما وقعت فى غرام اندرونيكوس كومنين [٤] احد ابناء عمومه الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين فى

---

(١) Pauli. Cordic diplomatico del Sacro Militare Ordine Gerosolimitano, oggi di Malta, t. I, PP. 50 -51.

(٢) A.O.L., II, PP. 138 - 139.

(٣) Kinamos, Deeds of John and Manuel Comnenus, tr. Charles Prand, P. 178, Grégoire le Pretre, op. cit., P. 186.

(٤) ارسله الامبراطور البيزنطى مانويل عام ١١٦٦م إلى قيلقيه للعمل على استتباب الامن بها بفضل ما اشتهر به من شخصيه جذابه . وعندما اتيحت له فرصة زيارة انطاكيه راعه جمال الاميره فيليا شقيقة بوهيموند الثالث ، واقام علاقة عاطفيه معها وصلت الى حد الفسق والزنا . فأشتدت ثائرة بوهيموند ورفع شكواه إلي الامبراطور الذي سرعان مااستدعى اندرونيكوس ولكن رفض العوده اليه واتجه صوب الجنوب وعرض خدماته على الملك عمورى الذي اعجب بشخصيته وبسالته ومنحه اقطاع بيروت . ولم يلبث ان توجه اندرونيكوس الي عكا وعندما تعرف على ثيودورا وقع فى غرامها وتبادلا الحب . انظر :
Kinamos , op. cit., P. 188. Wiliam of Tyre. II, P. 345.
ولمزيد من التفصيلات عن حياة اندرونيكوس انظر :
Diehl. Les romanesques aventures d'Andronic Comnen, Figures Ryzantines, PP.86 - 133

شتاء عام ١١٦٧م/٥٦٢ هـ ، ذلك الامير الذى يعتبر أشد رجال اسرته ذكاء ، واكثرهم وسامة ، فضلا عما اشتهر به من كثرة مغامراته العاطفيه . وتناول الطرفان الحب والغرام دون زواج - لان صلة القرابة بينهما حالت دون زواجهما . وكانت الملكه قد تركت عكا دون خجل أو حياء ، وعاشت معه خليله له في بيروت [١] . ونتج عن هذا ان استردت مملكة بيت المقدس عكا مرة اخرى ، واعلن الملك عمورى عدم احقية ثيودورا في الاستمرار فى التمتع باقطاع عكا لكونها آثمة وللضرر الذى الحقته بمملكة بيت المقدس بأسرها [٢] .

على اية حال ، كان عمورى متزوجا منذ عام ١١٥٧م /٥٥٢ هـ من أجنس Agnes ابنة جوسلين الثانى حاكم امارة الرها سابقا ، وارملة رينالد حاكم مرعش وقد انجب منها طفلين هما هما : سيبيلا وبلدوين الرابع [٣] . وكان من الممكن ان يتم هذا الزواج قبل ذلك بسبع سنوات ، ولكن حالت معارضة البطريرك فولشر دون اتمامه حينذاك بسبب ان العروس كانت تمت لعمورى بصلة قرابه من الدرجه الرابعه ، وهى مانهت عنه الكنيسه اللاتينيه . اذ حرص القانون الكنسى على عدم زواج الاقارب حتي الدرجه السابعه ولذلك فقد انتظر العروسان حتى وفاة البطريرك عام ١١٥٧م/٥٥٢ هـ واعلنا زواجهما [٤] . ولكن يبدوا انهما كانا يعتقدان ان ازمتهما تنحصر فى وجود البطريرك فى منصبه فاذا اختفى عن المسرح فلن تتصدى لهما أى معارضه ، ولاشك ان هذا الاعتقاد كان في غير محله لان القانون الكنسى ثابت لايتغير بتغير الاشخاص والدليل على ذلك انه عندما حان وقت تتويج عمورى ملكا على بيت المقدس لم ينس مجلس البلاط الملكي الخطأ الذى ارتكبه عمورى فى حق الكنيسه ورفضوا تتويجه ما لم يبادر بفسخ زواجه من اجنس . وايدهم فى ذلك البطريرك الجديد عمورى دى نسل Amauru de Nesl [٥].

---

(١) Kinamos, op. cit., P. 188, William of Tyre, op. cit., II, P. 345, Cf. also : Diehl, op.cit., P. 107.

(٢) La Chroniue d'Ernoul,p.15.

(٣) Wiliam of Tyre, op. cit., II, P. 300, Cf. also : DuCange. opcit., P. 20, Pierre Aube, Baudouin IV de Jerusalem, P.5.

(٤) Wiliam of Tyre, op. cit., II, P.300,362.

(٥) Ernoul,p.17, Eracles, P. 5, Cf. also : Aubé,op. cit., P.56, Richard, op.cit., P.78.

واضطر عموري امام الضغط الكبير الواقع عليه ، من قبل البطريرك من ناحيه ومن البارونات من ناحيه اخرى ، ان يرضخ لرأيهم ووافق على فسخ زواجه من اجنس بشرط ان يتمتع اولاده سيبيلا وبلدوين بكل الحقوق الشرعيه بما فى ذلك وراثة العرش . فوافق الجميع على ذلك . وبالفعل تم فسخ الزواج بمعرفة البطريرك والمندوب البابوى الكاردينال حنا [١].

وجدير بالذكر ان الملك عموري قد اهتم بنفسه عقب انفصاله عن اجنس بالبحث عن زوج آخر مناسب ، فوقع الاختيار علي هيو دبيلين صاحب الرمله [٢]. ولاشك أن هذا التصرف من عموري قد ساعده كثيرا فى الخروج من ازمته النفسيه التى كان يعانى منها لشعوره بالظلم الذى وقع على زوجته عندما تخلي عنها وضحى بها مقابل احتفاظه بالعرش . وفى نفس الوقت.اعفاه هذا من دفع مبالغ ماليه كبيره لها كان ولابد ان يدفعها كتعويض لها .

وقد ظل عموري بدون زواج حتى ١١٦٥م / ٥٦٠ هـ لانشغاله فى ادارة الشئون الداخليه للملكه من جانب ، ولتخوفه من نشاط نور الدين الحربى فى المنطقة من جانب آخر . وكانت سياسته تهدف على الا تكون سيطرة مملكة بيت المقدس على اراضيها كامله . فكان يقوم بغارات سريعه فى بلادها ، ويرسل قواده الذين كانوا يتوغلون حتى الرمله وعسقلان ، ويبعث قواته لتخترق البلاد من الشمال والجنوب . وبعضها اتخذ معسكرات متنقله داخل اراضى مملكة بيت المقدس نفسها . وكلما طاردها جند الصليبيين فى ناحيه انتقلت إلى ناحية اخرى . وكان هدف نور الدين من وراء ذلك أن يستمر الطريق مفتوحا الى مصر ، لانه كان واثقا من ان استيلاءه على مصر سيهيىء له من القوة ما يمكنه مواجهة الفرنج من ناحيه ، والدولة البيزنطيه من ناحية أخرى [٣] . وكان الغرض الاساسى لسياسة عموري هو منع نور الدين من الاستيلاء على مصر[٤].

---

(١) Wiliam of Tyre, op. cit., II, P. 300, Cf. also : Riley-Smith, Feudal Nobility and the Latin Kingdom of Jerusalem, P. 108.

(٢) Ernoul, P. 17, Eracles, op. cit., Loc. cit, Cf.also : aubé, op. cit.,P.55.

(٣) حسين مؤنس : المرجع السابق ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٤) لمزيد من التفصيلات عن الصراع بين نور الدين والملك عموري للاستيلاء على مصر انظر : ابن واصل : مفرج الكروب فى اخبار بنى ايوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، جـ١ ص ١٣٧-١٧٤، ابوشامه : المصدر السابق ، جـ ١ ، ق ٢ ص ٣٢٩ - ٣٩٥.

ولذا عندما شعر بتزايد نشاطه من اجل تحقيق هدفه فى فتح مصر ، فكر فى ان يستعين بحليف يؤازره ، ولكن الاحوال فى اوروبا لم تكن مهيأة لارسال نجدة سريعة . فأتجه ببصره إلى الدوله المسيحيه القريبه منه ، وهى الدوله البيزنطيه . ومهد لهذه الخطوه بسعيه لخطبة احدى الاميرات من البيت الامبراطورى فأرسل الى الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين سفاره عام ١١٦٥ م / ٥٦٠ هـ لهذا الغرض . ولكن الامبراطور تركها تنتظر رده لمدة عامين [١] . ولعل السبب فى التأخير ، وفق ما اشار اليه المؤرخ البيزنطى كيناموس ، يرجع الى غضب الامبراطور من الملك عمورى لالحاحه عليه فى طلب التنحى عن السياده البيزنطيه على انطاكيه . ولما ادرك عمورى هذا انصرف نهائيا عن مطلبه [٢] . وانتهى الامر باختيار الاميره ماريا ابنة حنا كومنين اخو الامبراطور لتكون زوجة لعمورى وملكة على بيت المقدس [٣] . وعندما علم الملك عمورى بأن سفراءه قد وصلوا إلى صور في رفقتهم الاميره البيزنطيه اسرع لمقابلتها وتم زواجهما فى احتفال كبير فى كاتدرائية صور بمعرفة البطريرك عمورى دى نسل فى ٢٩ أغسطس ١١٦٧م / أول ذى القعدة ٥٦٢هـ [٤] . وتقرر بذل نابلس وما يحيط بها من اراض معاشا للملكه ماريا [٥] .

ويبدو ان عمورى قد سار علي نفس النهج الذى اتبعه اخوه بلدوين الثالث تجاه الملكه مليسند فى الامساك بكل مقاليد الحكم ، وذلك حتى يتمتع بسلطاته كاملة . فلم نعثر على مايفيد ان للملكه ماريا دور ايجابى فى حكم المملكه .

---

(١) Ernoul, PP. 17 - 18, Cinamos,op. cit., 179, Wiliam of Tyre, II, P.344.

(٢) Cinamos, op. cit,P. 179.

من المعروف ان انطاكيه كانت خاضعه من الناحيه الاسميه لسلطان الامبراطور البيزنطى ، اما من الناحيه الفعليه فكانت تدور فى فلك مملكة بيت المقدس .

(٣) حدثت مفاوضات بين الملك عمورى والامبراطور البيزنطى مانويل كومنين حول ضرورة ارسال حمله مشتركه من الطرفين للذهاب إلى مصير والاستيلاء عليها .وقد خرجت بالفعل عام ١١٦٩م/ ٥٦٥هـ حمله تضم الفريقين ، واتجهت الى دمياط وعسكرت امامها ، وانتهى بها الامر الى الفشل والانسحاب . لمزيد من التفصيلات عن هذه الحمله انظر : ابن واصل : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٧٩ - ١٨٣ ، ابوشامه : المصدر السابق ج ٢ ص ٤٥٦ - ٤٦٠ .

(٤) Ernoul, P.18, Wiliam of Tyre, op. cit., P. 344.

(٥) Ernoul, P. 31.

وقد انجبت ماريا ابنتين لم تعش منهما غير ايزابيلا المولوده عام ١١٧٢م/٥٦٨ هـ. وعلى ذلك لم يكن للملك عمورى نصيب من الاولاد الذكور سوى ابنه بلدوين الرابع المعروف لدى مؤرخى الفرنج باسم بلدوين الابرص لاصابته بمرض الجذام [١] .

بعد وفاة عمورى عام ١١٧٤م/ ٥٧٠هـ باربعة ايام تم تتويج ابنه بلدوين الرابع ملكا على بيت المقدس ، ولم يتردد البارونات أو مجلس البلاط الملكى فى قبوله ملكا عليهم . وكان عمره حينذاك ثلاثة عشر عاما . ولذا ظل تحت وصاية الكونت ريموند الثالث صاحب طرابلس لمدة عامين حتى يصل إلى السن القانونى المسموح به لتوليه أمور المملكه بنفسه [٢].

وثمة سؤال يتبادر إلى الذهن حول اسباب عدم اختيار اجنس والدة بلدوين الرابع لتكون وصيه عليه حتى يتم الخامسة عشر من عمره بدلا من ريموند الثالث . ونرجح ان ذلك يرجع إلى عدم الاعتراف من قبل بزواج اجنس من الملك عمورى لعدم شرعيته طبقا للقانون الكنسى . فضلا عن ان روح العصر فى ذلك الوقت كانت تقضى بعدم ارتياح بارونات المملكه لحكم النساء ، مثلما اتضح من قبل عندما اظهر بارونات شمال المملكه استياءهم وسخطهم على تتويج الملكه مليسند .

شعرت الملكه ماريا ازاء الاوضاع الجديده انه لم يعد لها أو لإبنتها ايزابيلا مكان داخل البلاط الملكى طالما ان اجنس أم الملك بلدوين على قيد الحياه ، فلا شك ان ذلك الموقف قد اتاح الفرصة الكبيره لاعادة نفوذ اجنس الى البلاط الملكى مرة أخرى ، ولممارسة السلطة الملكيه من وراء تأثيرها الشديد على ابنها الذى لم يكن يتجرأ على معارضتها [٣] . ولعل ذلك يتضح فى تحديها لبارونات المملكه معتمده على قدرتها فى التأثير على بلدوين . فجعلته يوافق على زواج اخته سيبيلا من جاى لوزجنيان ضد رغبة البارونات [٤]. فعندما مات وليم لنونجز وورد اوف مونتفرات Wiliam Longsword of Montferrat زوج الاميره سيبيلا عام ١١٧٧م / ٥٧٣ هـ ، وصل

---

(١) Du Cange, op . cit., P. Cf. also : Aubé, op. cit., P.55.

(٢) Runciman, op. cit., II,P.404.

(٣) Richard, op. cit., P. 168.

(٤) Runciman, op. cit., II, P. 424.

فيليب اوف فلندر ابن عم الملك بلدوين الى بيت المقدس وطلب منه ترتيب امور زواج سيبيلا من احد مواليه . ولكن مجلس البلاط الملكى رفض هذا المطلب ، واخذ بلدوين دبلين صاحب الرمله يسبه ويشتمه جهرا حتى اشتد بفيليب الغضب وترك المملكه عائدا الى بلاده [١]. ويعلل المؤرخ اللاتينى ارنول هذا التصرف من قبل صاحب الرمله بانه كان على علاقه حب مع سيبيلا ويرغب فى الزواج منها ليضمن تتويجه ملكا على بيت المقدس بعد وفاة بلدوين الابرص [٢] . ولكننا نرى ان هذا التعليل غير مقنع لانه لاتوجد اية اشارات في المصادر أو المراجع تفيد بأن بلدوين دبلين قد طلب الزواج من سيبيلا بعد هذا الحادث . فاذا كان لديه الرغبه الصادقه فى الزواج منها وفق ما اشار به ارنول لما تأخر بعد أن عرف ان هناك من يطلب الزواج منها . وعلى ذلك يجب الا نأخذ بهذا التعليل ، وان نعتبره نوعا من تشويه الحقائق الذى درج ارنول عليه متعمدا فيما يتعلق بهذا الموضوع . فنراه مثلا قد انفرد دون بقية المؤرخين المعاصرين له بذكر قصة خياليه تفيد انه عندما وقع بلدوين فى الاسر لدي صلاح الدين عام ١١٧٩م/ ٥٧٥ هـ ارسلت له الاميره سيبيلا خطابا تقترح عليه فيه الزواج منه بعد اطلاق سراحه [٣] . ومما يضعف من شأن هذه الروايه انه المؤرخ الوحيد الذى انفرد بذكرها ، كما ان سيبيلا لم تكن حره في اختيار زوجها حتى يتسنى لها ان تكتب مثل هذا الخطاب خاصة وهى تدرك تماما انه لادخل لها في اختيار زوج المستقبل تمشيا مع روح العصر وانما الرأى فى ذلك يرجع إلى اخيها . كما انها كانت تدرك ايضا ان امها اجنس كانت تميل الى تزويجها رجل آخر هو جاى لوزجنيان ، وان الام سوف تستخدم كل ما أوتى لها من قوة التأثير على ابنها وعليها حتى تتم الموافقة على جاى لوزجنيان مما يجعل امر زواجها من بلدوين في حكم الاستحالة حتي ولو كانت هى موافقه عليه . وفضلا عن هذا وذاك ، فان سيبيلا عندما رأت جاى لوزجنيان واكتشفت انه حسن المظهر ويتسم بطلعة جذابه وشخصية ساحرة افصحت عن موافقتها فى الزواج منه [٤] . فلاشك ان هذا يثبت عدم وجود علاقه تربط

---

(١) Ernoul, op. cit., P. 33, Wiliam of Tyre, op. cit., II.PP.417 - 418.

(٢) Ernoul, op. cit., Loc. Cit.

(٣) Ibid, P. 58.

(٤) Runciman, op. cit., II, P. 424, Grousset, op. cit, II, P. 689 .

بين الطرفين ، والا لما تخلت عن حبها بسهوله لمجرد انها اعجبت بشخصية جاى . ثم اننا نرى ان كرامة المرأة وكبريا ءها تمنعانها من الكتابة الى من تحب لعرض نفسها على الزواج منه .

على اية حال ، لم يكتف ارنول بهذه الاشاعه فى حق الاسرة المالكه ، وانما اضاف اليها اتهاما جديدا لشخص اجنس عندما اشاع فى احدى المرات بانها قد سعت لدى الملك فى أمر تعيين عمورى اوف لوزجنيان كندسطبل المملكه اخلاصا منها له للعلاقه الغير شريفه التى تربطهما معا [١].

اذا دققنا النظر فى كل هذه الامور والادعا ءات التى ذكرها ارنول لادركنا ان سببها يرجع الى اخلاص هذا المؤرخ لآل ابلين حيث كان يعمل فى خدمة باليان دبلين - اخو بلدوين دبلين - ، كما كان تابعا امينا له ، فربما يكون صاحب الرمله قد نوى بالفعل طلب الزواج من سيبيلا ، ولكن حال وقوعه فى الاسر فى أيدى صلاح الدين عام ١١٧٩م / ٥٧٥ هـ دون تحقيق ذلك . وعندما اطلق سراحه وجد ان الفرصه قد فاتته بزواجها من جاى لوزجنيان عام ١١٨٠م/٥٧٦ هـ بعد ان نجحت اجنس في التأثير على الملك للموافقه على هذا الزواج . وربما يكون هذا الامر باعثا لحزن ارنول لابعاد اسرة ابلين عن العرش ، فجاء انتقامه فى شكل تشويه بعض الحقائق التاريخيه.

مهما كان الحال ، لم يقتصر نفوذ اجنس على الامور الخاصة بالاسرة الملكية ، وانما امتد إلى درجة سيطرتها على تعيين اكبر سلطه دينيه واخطرها فى المملكه . وهو البطريرك . فعندما مات البطريرك عموري دنسل فى اكتوبر ١١٨٠م / جمادى الأول ٥٧٦ هـ اختارت هيئة رجال الدين بكنيسة القيامه فى بيت المقدس تحت ضغط اجنس على ابنها ، هرقل رئيس اساقفة قيساريه ليخلف عمورى فى البطريركيه [٢] رغم ما الصق به من صفات سؤ السلوك وعدم الشرف والمروءه والفسق [٣] . وبذلك اصبحت السلطه فى مملكة بيت المقدس مركزه فى اربع قوى رئيسيه هى : آل كورتناى وعلى

---

(١) Ernoul, P. 59.

(٢) Ibid, P. 82, Cf also : Richard, op. cit., P.167, Benjamin, op. cit., P. 188.

(٣) Crousset, op. cit., II, P. 765, Riley -Smith, The Hnights of St. John in Jerusalem and Cyprus, P. 81,Setton, op. cit., I, P. 517.

رأسهم اجنس ، وآل لوزجنيان برياسة جاى لوزجنيان باعتباره المرشح لتولى عرش المملكه، ثم هرقل بطريرك بيت المقدس الذى سيظل تابعا مخلصا يدين بالولاء التام لال كورتناى لتأييدهم الشديد له وفضلهم عليه فى التعيين فى منصب البطريرك . واخيرا رينالداوف شاتيلون Renavd of Chatilon المعروف فى المصادر العربيه باسم ارنطا صاحب الكرك (١) .

وجدير بالذكر ، ان المؤرخ اللاتينى المجهول صاحب كتاب الامبراطور هرقل قد ارجع سبب انحياز اجنس الى البطريرك هرقل الى العلاقه المشينه بينهما منذ فترة زواجها من الملك عمورى (٢) . ولكن يجب ان ننظر الى هذه الروايه بعين الحذر لانه ليس من المعقول ان تصل مثل هذه الشائعة الى الملك بلدوين دون ان يكون كارها أو مشمئزا أو حتى رافضا تعيين عشيق امه فى هذا المنصب الخطير ، مهما بلغ تأثير امه عليه . ولذا فاننا نرى ان تاريخ هرقل باعتباره مكملا لتاريخ وليم الصوري فقد نقل هذا الرأي عنه ، والمتضمن الحقد والكراهيه لاجنس لانها كانت السبب فى ابعاده عن منصب البطريركيه بتأييدها هرقل .

وقد بلغ من نفوذ اجنس ايضا انها كانت تتحكم فى دخول وخروج الامراء والبارونات الى المملكة عند مقابلة الملك . فعندما رغب ريموند الثالث صاحب طرابلس فى لقاء الملك عام ١١٨٢م/٥٧٨ هـ رفضت الملكة الام دخوله إلى ارض المملكه بسبب عدم اتصاله بالقصر اكثر من عامين ، فضلا عما بدر منه فى رفضه مد يد العون إلى المملكة خلال هذه الفترة ، فاوهمت الملك بانه يدبر مكيده للتأمر على حياته . فغادر ريموند مرة أخرى إلى امارته وهو حانق على اجنس ، وقد تفاقمت المشكلة بين الطرفين (٣).

وفى رأينا ان هذا لم يكن هو السبب الحقيقي وراء الموقف العدائى الذى اتخذته اجنس من طرابلس ، وانما يكمن السبب وراء غيرتها الشديده منه لانها شعرت ان فى

---

(١) Grousset, op. cit., II, P. 765.

(٢) Wiliam of Tyre, op. cit., II, P. 489, Cf. also : Riley-Smith, op. cit., P.104.

(٣) Wiliam of Tyre, op. cit., II, P. 460, Cf. also : Brundage, The Crusades, P. 145.

توليه نيابة المملكه بسبب اصابة الملك بمرض الجذام انما يحد من سلطاتها ونفوذها على ابنها . ويبدو انها قد اختارت هذه الحيله لكى تتخلص منه ، حتى يخلو لها الجو فى اطلاق سلطانها على المملكه كلا دون مراعاة وجود نائب لها مستنده فى ذلك على تدهور صحة ابنها.

لم يقبل بارونات المملكه هذا الموقف بسهولة ، وانما خشوا من زيادة نفوذ اجنس خاصة وان صحة الملك كانت تزداد سوءا يوما بعد يوم ، ولم يعد قادرا على تدبير امور المملكه . فحاول البارونات الاتصال بالكونت ريموند لتهدئة ثورته وغضبه . وفى نفس الوقت نجح مجلس البلاط الملكى في اقناع الملك بضرورة استدعاء صاحب طرابلس وتصفية الامور معه ، وبذلك عاد السلام مرة أخرى بالمملكه [١] وعندما اشتد المرض على الملك بلدوين ، ولم يعد بوسعه ان يستخدم ذراعيه وساقيه ، نجحت امه واخته سبيلا بتأييد من البطريرك ان يقنعوه في ان يعهد بالوصاية على العرش الى جاى لوزجنيان زوج سيبيلا . وبالتالى صارت السلطه التامه على المملكه الى جاي لوزجنيان باستثناء بيت المقدس الذى اختص بها الملك لنفسه . وقبل بارونات المملكه هذا القرار باشمئزاز كبير [٢] .

ولا شك ان هذا التعيين لم يؤثر قط علي نفوذ اجنس طالما انها تملك السيطره على ابنتها سيبيلا ، وفى نفس الوقت تضمن ولاء واخلاص جاى لوزجنيان لها صاحبة الفضل فى اسناد الوصاية على العرش .

ولكن يبدو ان سلوك جاى تجاه بارونات المملكه قد اثار الملك وجعله يتحين الفرصه المناسبه لعزله من الوصايه . وحدث هذا عندما رفض جاي ان يحقق رغبة الملك فى منحه مدينه صور مقابل ان يسلمه مدينه بيت المقدس . ولذا فقد اسرع الملك وهو فى شدة غضبه باستدعاء كبار رجال المملكه وقرر امامهم فى مارس ١١٨٣م / ذى الحجه ٥٧٨هـ عزل جاى من الوصاية على العرش واحلال بلدوين ابن اخته سيبيلا من زوجها

---

(١) Wiliam of Tyre, op. cit., II, P. 460, Cf. also : Brundage, The Crusades, P. 145.

(٢) Wiliam of Tyre, op. cit., II. P. 492, Cf. also : Aubé, op. cit., P. 336.

السابق وليم اوف مونتفرات محله . ولم يكن بلدوين وقتذاك قد تجاوز السادسه من عمره . وقرر الملك ان يستأنف تسيير امور المملكه بنفسه رغم عجزه عن الحركة [١] .

وفى اوائل سنة ١١٨٥م / ٥٨١ هـ عندما احس الملك انه يدنو اجله وان الامل ميؤس في شفائه ، اعلن وصيته امام مجلس البارونات فقرر ان يخلفه على العرش ابن اخته بلدوين على ان يتولى الكونت ريموند الثالث صاحب طرابلس منصب الوصايه على الملك حتي يبلغ السن القانونى لتوليه امور المملكه بنفسه . وقصد الملك من وراء ذلك ان يحجب عن جاى الفرصه فى الوصول الى عرش المملكة [٢] . ولكن صاحب طرابلس رفض ان يبقى فى الوصايه حتى لا يموت الصبى الصغير وهو الذى اشتهر بسوء صحته فيجرى اتهامه بأنه عجل بوفاته . وامام اصرار الكونت على الرفض اضطر مجلس البارونات الى اسناد الوصايه الى جوسلين اوف كورتناى ، خال الملك [٣] . وبذلك تكون اجنس قد احتفظت بنفوذها وسلطاتها مدة أطول فى ظل حكم حفيدها ووصاية اخيها حتى وفاتها عام ١١٨٦م / ٥٨٢ هـ .

وفى نفس الوقت طلب الملك من البطريرك مساعدته فى امر الغاء زواج سيبيلا من جاى لوزجنيان حتى لا تتاح اية فرصة لوصوله إلى العرش . ولكن لما علما هذا الامر لم يستلسما له ، وانما هربا معا إلى عسقلان ورفضا ان يعودا مرة اخرى حتي عندما استدعاهما الملك للمحاكمه وبالتالى فشلت خطة الملك فى التفريق بينهما ، لانه لايمكن على الاطلاق طبقا للقوانين المتبعه حينذاك النظر فى فسخ الزواج مالم يحضرا الزوجان معا [٤].

مات بلدوين الرابع بعد رحلة طويله وشاقه من المرض في مارس ١١٨٥م / ذي الحجه ٥٨٠ هـ ، وتم تتويج ابن اخته بلدوين الخامس ملكا على المملكه اللاتينيه . ولكنه لم يعمر طويلا ، اذ وافته المنيه فى العام التالى مباشرة اثناء تواجده فى عكا .

---

(١) Richard, op. cit., P. 170, Runciman op. cit., II, PP. 439 - 440.

(٢) Eracles, P. 10, Cf. also : Grousset, op. cit., II.P759, Richard, op. cit., P.170, Brundage, op. cit., P. 150.

(٣) Runciman, op. cit., II, P. 443.

(٤) Wiliam of Tyre, II, P. 507 - 509.

واصبحت الامور كلها ميسره لكى تتولى والدته سيبيلا عرش المملكه . ولكن البارونات لم يقبلوا جاى لوزجنيان ملكا عليهم . واجتمعوا ذات يوم واتفقوا فيما بينهم على ضرورة فصل جاى عن زوجته بسبب ايلوله المملكه اليها ، ورغبوا فى تزويجها من رجل آخر يكون اصلح من جاى لتولى امور المملكه معها . وقد تم لهم ما ارادوا وفرقوهما ولكنهم لم يستطيعوا الاتفاق فيما بينهم على الشخص الذى يزفونها اليه ، وانتهى بهم الامر الى ترك المسأله للملكه ذاتها ، وتعطى التاج لمن تريده ملكا معها [١] .

على اية حال بعد وفاة الملك بلدوين الخامس تظاهر جوسلين امام الكونت ريموند الثالث بانه حريص على التعاون معه ، واقنعه بالتوجه الى طبريه لدعوة بارونات المملكه للاجتماع به بعيدا عن مؤامرات البطريرك . وتعهد هو بنقل جثمان الملك من عكا الى بيت المقدس . وبذلك يكون ريموند قد وقع فى الفخ الذي نصبه له جوسلين لابعاده عن بيت المقدس . فمضى ريموند في طريقه إلى طبريه ، وعند ذاك ارسل جوسلين جثمان الملك فى راية جماعة الداويه الى بيت المقدس ، بينما خرج هو علي رأس قواته متجها إلى بيروت التى كانت خاضعه فى ذلك الوقت للكونت ريموند واستولي عليها . ثم ارسل إلي سيبيلا واخبرها بضرورة التوجه إلى بيت المقدس مع كل فرسانها لتحتلها حتى يسهل هذا عمليه تتويجها ملكة [٢] .

وعندما علم ريموند بالخدعه التي تعرض لها توجه إلي نابلس ودعا الى عقد المحكمه العليا للبارونات بها . وكان فى مقدمة الحاضرين باليان دبلين وزوجته الملكه السابقه ماريا وابنتها ايزابيلا من الملك عمورى ، وزوجها همفرى سيد تبنين وجميع بارونات المملكه . واثناء اجتماعهم وصل مندوبين عن سيبيلا يحملون دعوتهم في حضور حفل تتويجها ملكة على بيت المقدس . ولكنهم رفضوا الحضور ، وارسلوا راهبين من جماعة الاخوان السسترشيان لمقابلة بطريرك بيت المقدس وجيرارد فورت سيد الداويه، وروجر دى مولين سيد الاسبتاريه لمنعهم من اتخاذ اجراءات التتويج حتي تنظر المحكمة العليا فى الامر . ولكن الموجودين فى بيت المقدس لم يلتفتوا الى هذا التهديد،

---

(١) Robert of Clary, The Conquest of Constantinople, translated by Edgar Holmes, P. 62.

(٢) Ernoul, PP. 25 - 26, Eracles, P. 25.

وأصروا على مواصلة اجراءات تتويج سيبيلا [١] . وعند ذاك قاموا باغلاق ابواب مدينة بيت المقدس واقاموا عليها حراسه مشدده لمنع أى محاوله للهجوم عليها من قبل البارونات الموجودين فى نابلس . وعندما بدأ حفل التتويج أخذ سيد الداويه والامير ارناط صاحب الكرك بيد سيبيلا وأوصلاها إلي القبر المقدس ليتم تتويجها بمعرفة البطريرك . والقى ارناط خطبه على الحاضرين قال فيها " ايها الساده انتم تعلمون جيدا ان الملكه الان بدون وريث أو حاكم بعد وفاة كل من الملك بلدوين الرابع والملك بلدوين الخامس ، ونحن نرغب في تتويج سيبيلا ابنة الملك عموري واخت الملك بلدوين الرابع وام آخر ملك من ملوكنا بلدوين الخامس ، وهى موجوده الان بيننا فهى اقرب المستحقين لوراثة العرش " . وعند ذاك اجاب الحاضرون فى صوت واحد " اننا نحب ابنة الملك عمورى أكثر من اي شخص آخر " [٢] . وعلى الفور ابتدأ البطريرك فى اجراءات التتويج . وطلب من مقدمى الداويه والاسبتاريه تسليمه مفاتيح الصندوق المحفوظ به التاج الملكى ، لانا دائما تكون فى عهدة مقدمى هاتين الجماعتين ، فوافق الأول ، بينما اصر الثانى على عدم تسليمه المفتاح الذى فى عهدته الا بعد موافقة بارونات المملكه الموجودين فى نابلس . وبعد مناقشات طويله بين الحاضرين وسيد الاسبتاريه اضطر الى قذف المفتاح بعيدا ، فاخذه البطريرك واحضر التاجين الملكيين . ونظرا لما يكنه الناس من كراهيه تجاه جاي لوزجنيان قام البطريرك بتتويج سيبيلا وحدها [٣] . وبعد ذلك وضع التاج المخصص للملك بجانبها وقال لها " لك الان ان تختاري الرجل الجدير بك ليتولى حكم المملكه بجانبك وتضعى هذا التاج فوق رأسه " [٤]. وقد اخذت الملكه التاج بين يديها وقلبت ناظريها في الحاضرين حتي أبصرت جاى فتقدمت نحوه وقالت له " لن أجد أفضل منك لمعاونتي فى ادارة المملكه " . فركع امامها ووضعت التاج علي رأسه وكان ذلك يوافق الجمعه نصف سبتمبر ١١٨٦م / ١٣ جمادى الآخر ٥٨٢ هـ [٥].

---

(١) Ernoul, P. 27, Eracles, P. 27.

(٢) Ernoul, P. 28, Eracles, P. 28.

(٣) Ernoul, PP. 28-29, Eracles, PP. 28 - 29.

(٤) Ernoul, P. 29, Eracles, P. 33.

(٥) Ibid, Robert of Clary, op. cit., P. 62.

وعندما وصلت انباء تتويج سيبيلا وجاى ملكين على مملكة بيت المقدس الى البارونات المجتمعين فى نابلس ، اقترح عليهم الكونت ريموند صاحب طرابلس بالتوجه جميعا الى بيت المقدس وفى صحبتهم همفرى اوف تورون وزوجه ايزابيلا ، ابنه الملك عمورى واخت الملكه المتوجه ، والعمل على تتويجها هناك طالما ان معظم بارونات المملكه وفى مقدمتهم سيد الاسبتاريه غير موافقين على تتويج جاى [١] . ولكن عندما علم همفرى بهذا الامر لم يقبله وترك المدينه ليلا مع جماعة فرسانه دون ان يشعر به احد وتسلل الى بيت المقدس وقابل الملكه سيبيلا ولكنها لم ترحب به فى بداية الامر لمعارضته اجراءات التتويج وعدم حضوره الحفل وانحيازه إلى جانب بارونات المملكه المجتمعين فى نابلس . ولكن عندما علمت منه حقيقة الامور وبعدم رغبته فى الانقياد وراء مطلبهم اظهرت عفوها ورضاها عليه ، وطلبت منه الوقوف بين يدى الملك جاى وتقديم فروض الولاء والطاعة له ، فلم يتردد فى ذلك . واستقر بعد ذلك فى بيت المقدس [٢] . وعندما علم البارونات فى نابلس بما حدث اضطروا اسفين للتوجه الى بيت المقدس واعلنوا ولاءهم للملكين معا [٣] .

لس هناك ادنى شك في ان تتويج سيبيلا وجاى جاء ضربة كبرى موجهة الى ماريا كومنين لانها كانت تضع كل آمالها فى ان تصبح ابنتها ايزابيلا ملكه على بيت المقدس بدلا من اختها سبيلا لتتاح لها فرصة استعادة سلطتها التى لم تتمتع بها طويلا اثناء وجودها ملكة مع زوجها عمورى الأول . ولذلك كان صدرها يمتلىء غيرة وحقدا على الملكين المتوجين [٤] .

وكانت الملكه سيبيلا تشارك زوجها فى معظم امور المملكه ، ولكن لم يستمر هذا طويلا ، اذ اسر فى موقعة حطين عام ١١٨٧م/٥٨٣ هـ واعتقل فى نابلس. وعندما دخل صلاح الدين بيت المقدس نجح رجاله فى اسر الملكه وماريا كومنين ، ولكن صلاح الدين عاملها معامله طيبه تليق بمكانتيهما ، بل سمح للملكه سيبيلا بان تلحق بزوجها فى

---

(١) Ernoul, P. 30.

(٢) Ibid, PP. 31 - 32, Eracles, P. 31.

(٣) Ernoul, P. 32.

(٤) Eracles, PP. 30 - 31.

نابلس وتعيش معه طوال فترة اعتقاله [١]. وبعد ان اطلق سراح جاى عام ١١٨٨م / ٥٨٤ هـ ، لم يطل العمر بزوجته اذ وافتها المنيه فى يوليو ١١٩٠م / جمادى الأولى ٥٨٦ هـ . وبذلك اصبحت اختها الاميره ايزابيلا هى الوريثه الوحيده لعرش مملكة بيت المقدس . واعتقد جاى فى احقيته بالاحتفاظ بالتاج معتمدا فى ذلك على كونه ملكا متوجا يدين له بالولاء كثير من اتباعه ، ولكن يبدو انه لم يتنبه الى انه لم يفز بالتاج الا باعتباره زوجا للملكه سيبيلا . فهى التى اختارته دون موافقة ورغبة بارونات المملكه أو حتى بطريرك بيت المقدس . ولذا فقد انتهز اعداء جاى هذه الفرصه وطالبوا بعزله من الملك لموت زوجته صاحبة قرار تتويجه من ناحيه ، ولانهم القوا عليه اللوم فى سبب هزيمتهم فى موقعة حطين من ناحيه اخري ، وطالبوا بتتويج ايزابيلا وزوجها همفري اوف تورون [٢]. ونظرا لضعف شخصية همفري وجبنه وتخليه عن بارونات المملكه حينما كانوا مجتمعين فى نابلس يبحثون أمر تتويج سيبيلا وجاي ، فقد ابتعد عنه كثير من بارونات المملكه وانحازوا الي جانب المركيز كونراد دى مونتفرات صاحب صور مؤيدين زواجه من ايزابيلا ، بعد انفصالها عن زوجها ، وتتويجه ملكا عليهم . وقد بداوا للتخطيط لفسخ الزواج بين ايزابيلا وهمفري ، فطعنوا في صحة شرعية الزواج مستندين في ذلك الي ان عقد الزواج قد تم ولم تبلغ العروس اكثر من ثمان اعوام . كما انها وافقت رغم ارادتها بناء على تأثير اخيها الملك بلدوين عليها . وقد شهدت والدتا الملكه السابقه ماريا امام المندوب البابوي بهذا . فوافق اخيرا علي اصدار قرار بابطال الزواج بين الطرفين ، بعد ان نجح البارونات فى اقناع همفرى بعدم صلاحيته لتولي امور المملكه في هذه الفترة بالذات لان المملكه كانت تمر بازمات عصيبه مما يستلزم وجود حاكم قوى له شخصيه متميزة تساعده على رفع شأنها والوقوف فى وجه اعدائها [٣].

كانت ايزابيلا مترددة كثيرا فى الموافقه على الابتعاد عن زوجها بسبب حبها الشديد له . ولكن نتيجه لضغط امها عليها خضعت فى نهاية الامر لرغبتها ووافقت على الانفصال عن زوجها حتي سود السلام انحاء المملكه [٤] .

---

(١) Ernoul, P. 85.

(٢) Riley-Smith, op. cit., P. 114.

(٣) Eracles, PP. 151-152, Ernoul, PP. 267 - 268.

(٤) Grousset, op. cit., III, PP. 42-43.

وبمجرد انفصال ايزابيلا عن زوجها همفرى اعلن مجلس البلاط الملكى حقها الشرعى فى وراثة العرش ، وتم زواجها من المركيز كونراد دى مونتفرات [١] . ولم يتم تتويجهما بسبب انقسام المعسكر الصليبى الي جبهتين : الأولى يرأسها الملك الفرنسى فيليب اوغسطس ومعه كثير من بارونات المملكه وفرسان الداويه وهم يؤيدون تتويج كونراد دى مونتفرات . أما الجبهة الثانيه فكانت برياسة الملك الانجليزى رتشارد قلب الاسد ويؤيده جماعة الفرسان الاسبتاريه وعدد من بارونات المملكه وهم يؤيدون جانب جاى لوزجنيان . وامام هذا الانقسام الخطير الذى هدد سلام المملكه وامنها ، اضطر الملكان فيليب ورتشارد الى اصدار قرارهما بان يظل جاى لوزجنيان ملكا على بيت المقدس طوال حياته فقط دون ان يورث منصبه الي فرد من اسرته ، ثم ينتقل التاج بعد ذلك الى كونراد وايزابيلا ونسلهما ، علي أن يقتسم الطرفان موارد مملكة بيت المقدس خلال استمرار حكم جاى . واذا ماتت الاطراف الثلاثه يتولى الملك رتشارد تدبير امور المملكه خلال فترة وجوده فى الشرق [٢] .

وجدير بالذكر ، انه على الرغم من ان كونراد دي مونتفرات كان لايمد يد العون والمساعده الى الملك رتشارد محاولا هدم سياسته فى الشرق ، فقد اقتنع الملك الانجليزى بعدم كفاءة جاى لوزجنيان في تحمله مسئولية حكم المملكة ، وان كونراد أجدر منه فى ذلك . ولذلك وافق الملك الانجليزى على تتويج كونراد فى الحال . وعندما شعر جاى بتغيير رأى رتشارد وتخليه عنه في تأييده على عرش المملكه اللاتينيه ، طلب منه منحه قبرص تعويضا له عن فقده عرش بيت المقدس عندما سيتم تتويج جاى فوافق الملك على ذلك [٣].

ورغم ان كل الامور اصبحت ممهده لتتويج كونراد ملكا على بيت المقدس بجوار ايزابيلا ، الا ان العمر لم يمتد به طويلا اذ اغتيل على ايدى اثنين من الفداويه الاسماعيليه عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ [٤] .

---

(١) Riley-Smith,op. cit., P. 116.

(٢) Ibid, P. 117.

(٣) Eracles, P. 160.

(٤) لمزيد من المعلومات عن كيفية اغتيال المركيز كونراد انظر : اسامه زيد : الصليبيون واسماعيليه الشام فى عصر الحروب الصليبية ص ٢٢٧ - ٢٣٥.

لا شك ان مصرع كونراد جاء ضربة موجهة الى المملكه اللاتينيه ، ولكن ايزابيلا اصبحت حره فى ان تتزوج وان تنقل التاج الى مرشح اخر لايتعرض لمثل ما تعرض له كونراد من المنازعات والصراعات الداخلية بين بارونات المملكة . فكان هذا الرجل هو هنرى كونت شامبانيا ابن اخت الملك الانجليزى رتشارد . وقد رحبت به ايزابيلا استجابة لرأى اهالى المملكة [١] .

ولم يستمر هنرى فى الحكم طويلا ، اذ لقى مصرعه فى العاشر من سبتمبر ١١٩٧م / الثـــانى من ذى القعدة ٥٩٣ هـ اثر وقوعه من نافذة القصر فى الطابق العلوى [٢] . وقد رأى بارونات المملكة ضرورة المبادره الي اختيار حاكم جديد ليحل كل مشاكل المملكه ، خاصة وانه لم يبق على قيد الحياه من اطفال ايزابيلا من هنرى سوى ابنتين صغيرتين هما اليس وفيليبا . اما ماريا ابنتها من كونراد فلم تكن تتجاوز الخامسة من عمرها . وبعد كثرة الجدل والمناقشات بين بـارونات المملكـه حول اختيار زوج لملكه ايزابيلا ، انتهى الامر بترشيح ايمرى لوزجنيان ملك قبرص . ورغم انه اخو جاى الا انه كان يفوقه فى الكفاءة والمقـدره وقد تمت موافقة بارونات المملكـــه على الزواج . ولكن بطريرك بيت المقدس عارض هذا الزواج استنادا الي ان جاى لوزجنيان كان متزوجا من سيبيلا اخت الملكـه ، كما ان همفـرى اوف تورون مازال على قيد الحيـاة. وفى نهاية الامر رضخ البطريرك لرأى الاغلبية ووافق على اتمام الزواج بعد الحصـول على موافقـة الكنيسة . وفى يناير ١١٩٨م / صفر ٥٩٥ هـ تم تتويجهما فى احتفال كبير ملكا وملكة على بيـت المقدس [٣] . ولم ينعـــم الملك طويلا بمكانته الرفيعـه ، ففـى ابريل ١٢٠٥م / رمضان ٦٠١ هـ مات بعكا عقب اسرافه فى تناول وجبة سمك [٤] . وانتقلت السلطه بوفاته دون نزاع الى الملكه ايزابيلا التى لم يبلغ بها الوجد على زوجها الاخير ما يمنعها من تقلد زمام الحكم . غير انها لم تعش طويلا بعد

---

(١) Eracles, P. 194, Cf. also : Riley-Smith, op. cit., P.119 .

(٢) Ernoul, P. 306, Eracles, P. 220.

(٣) Eracles,PP. 221-223, Ernoul, Pp, 309-301, Cf. also : Riley-Smith, op. cit.,P.150.

(٤) Eracles, P. 395.

وفاة زوجها - وقد اكتنف الغموض تاريخ وفاتها مثلما اكتنف الغموض معظم حياتها . وخلفها فى حكم بيت المقدس خمس بنات ، ماريا مونتفرات ، واليس ثم فيليبا ابنتا هنرى اوف شامبانى ، سيبيلا ومليسند لوزجنيان .

وهكذا انطوت اخر صفحه من صفحات تاريخ ملكات بيت المقدس فى القرن الثانى عشر الميلادى (القرن السادس الهجرى) ، ونخلص منها بأن العواطف والمشاعر الانسانيه والروابط الاسريه لم يكن لها أهمية كبيره لدى المسيطرين على مقاليد الامور فى المملكه اللاتينيه . فأصبح كل مايهمهم أن يغلبوا مصالحهم الشخصية على المصلحة العامه للمملكه حتى يضمنوا بقاء السلطه فى ايديهم أطول وقت ممكن ، فنتج عن ذلك سلسلة كبيرة من الصراعات والمنافسات بين بارونات المملكه ادت فى النهاية الى ضعف وانحلال مملكة بيت المقدس . هذا ، فى الوقت الذى ظهرت فيه حركة اليقظة الاسلاميه ايام عماد الدين زنكى ، ثم من بعده ابنه نور الدين محمود ثم بلغت ذروة نضجها على يد صلاح الدين الايوبى . فنجح في توجيه الضربة القاصمة الى المملكه اللاتينيه في موقعة حطين عام ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ واستولى على بيت المقدس ومعظم مدن الساحل الشامى وفقدت المملكه هيبتها الاولى واصبحت لا تتمتع بأى قسط من الاستقلال الذاتى والحرية فى العمل كما كان الحال من قبل

بيانات بالمختصرات
الوارد ذكرها فى حواشى البحث

R.H.C. -H. OCC	Recueil des Historiens des Croisades Historiems Occidentaux.
R.H.C.-Doc. Arm.	Recueil des Historiens des Croisad Documents Armenien.
A.O.L.	Les Archives de I'Orient Latin.
R.O.L	Revue de I'Orient Latin.
D.O.P.	Dumberton Oaks Papers.

قائمة المصادر والمراجع الاجنبيه

أولا : المصادر

Albert d'Aix, Historia Historia Hierosolymitana, ed.R.H.C.-H. Occ., t.IV, Paris, 1879 (PP.265 - 713).

Anonimous, Li Estoire de Jerusalem et d'Antioch, Cf. RH. C.H.Occ., V,P.647.

Anonimous, The Burgandian Code, translated from the original by Ficher, C., Philadelphia, 1972.

Clary, R., The Conquest of Constantinople, translated into English by Edgar Holmes, New Yourk, 1969.

Delavile le Roulex, (ed), Cartulaire General de L'Ordre des hospitalers des St. Jean de Jerasalem, (1100-1310), 4 vols, Paris, 1894-1906.

de Marsy, Fragment d'un Cartulaire de I'order de St. Lazare en Terre Sainte, Cf.A.O.L., t. II, Paris, 1884.

Du Cange, Les Familles d'Outr mer, Ed, E.G.Rey, Paris,1869.

English Historical Documents : Laws of Canut,t.I. London, 1969

Eracles, L'Eracles Empereur et la Conquest de La Terre

d"outre mer. Ed.R.H.C. Occ. t. II. Paris. 1859,PP.1-481.

Eenoul, La Chronique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier,ed. L.de Mas Latrie, Paris,1871.

Flucher of Chartres, A History of the expedition to Jerusalem (1095-11270,tramslated by Frances Rita Ryan, Tennessee, 1969.

Cregoire le pretre, Chronique de Grégoire le Pretre, Cf. R.H.C-Doc.Arm,Paris, 1869,(152 - 201) .

Guibert of Nogent, Gesta Dei Per Francos, Cf. R,H.C.-H Occ., IV, Paris, 1879.

Jean d'Ibelin, Livre de Jean d'Ibelin, Cf. Assises de Jerusalem, t.I, Paris, 1841, (PP.1-432).

Kinamos, Deeds of John and Manuel Comnenus, translated by B. Brand, New york,1971.

Livre au roi, Cf. Assises de Jerusalem, T.I, Paris, 1841.

Mattew d'Edesse, Extraite de la Chronique de Mattew d'Edesse. Ed. R.H.C.-Doc.Arm,I,Paris, 1869 (PP.1-150).

Pauli,S., Codice dipllomatico del Sacro militare Ordine Gersolimitano, Oggi de Malta, 2vols, Lucca, 1733-1737.

Procopius, History of the Wars, translated into English by H.B., Dewing, Cambridge, 1961.

Wiliam of Tyre, A History of Deeds Done beyond the Sea,2 vols, translated by E.A., Babock, A. C.Kery, New york, 1943.

ثانيا :المراجع

Aubé, P., Baudouin IV de Jerusalem, Le roi le preux, Paris, 1981.

Brundage, J., 1) Crusader's Wife : a Canonistic Quandary., Cf. Studia Cratiana, 12, Wisconsin, 1967 (PP. 427 - 441).

2) The Crusades, New york, 1976.

Curtis,E., Roger of sicily, London, 1912.

Diehl,Ch., Le Romanesques aventures d'Andronicos Comnene, Figures Byzantines, Paris, 1948.

France, E., & Joseph,S., Women in the Middle age, New york,1978,

Grousset,R., Histoire des Croisades, 3 vols, Paris, 1948.

Haskins, ch., The Normans in European History, New york,1966.

Kedar,B., Outre mer, Studies in the History of the Crusading Kingdome of Jerusalem. Jerusalem,1982.

Mayer, H., 1) Studies in the History of Queen Melisend of Jerusalem, Cf.D.O.P., 26, New york, 1972, (PP.93 - 183).

2) Latins, Muslims and the Greeks in the Latin Kingdom of Jerusalem, Cf. Journal of the Historical Association,t.63, London,1978 (PP.175 - 192).

Power,E., Medieval Women, Cambridge. 1975.

Richard,J., The Latin Kingdom of Jerusalem, translated by Janet Shirley, Oxford, 1979.

Riley-Smith, 1) The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem (1174-1276), London, 1973.

2) The Knights of St. John in Jerusalem and Cyprus (1050-1310), London, 1967.

Runciman,S., History of the Crusades, 3 vols, London, 1971.

Setton,K.M., History othe Crusades.2 vols, Philadelphia,1985.

Stevenson, W.B., The Crusaders in the East, London, 1907.

Norwich, J., The Normans in the South, London, 1981.

المصادر والمراجع العربية والمعربه

أولا : المصادر :

ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدوله الاتابكيه تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة ، ١٩٦٣.

ابن واصل : مفرج الكروب فى اخبار بنى ايوب ، تحقيق د . جمال الدين الشيال ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٣ .

ابو شامه : الروضتين فى اخبار الدولتين النوريه والصلاحية - ٢ ج - القاهرة ١٣٨٧هـ .

ثانيا : المراجع :

ابراهيم طرخان: النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٨ .

اسامه زيد (الدكتور) : الصليبيون واسماعيلية الشام فى عصر الحروب الصليبية ، الاسكندرية ١٩٨١ .

حسين مؤنس (الدكتور) نور الدين محمود ، القاهرة ١٩٥٩ .

كوبلاند : الاقطاع فى العصور الوسطى بغرب اوروبا ، ترجمة د . محمد مصطفى زياده ، القاهره ١٩٤٥ .